

روايات مصرية للجيب  
رجل المستحيل

ذئاب ودماء

٥٣



رجل المستحيل • ذئاب ودماء • ٥٣ •

المؤلف



د نيل فاروق

رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
للذئاب  
زاحرة  
بالأحداث  
المثيرة

٥٣

ذئاب ودماء

- هل سيأتي (أدعم) على قيد الحياة، ليواصل صراعه مع ذئاب الجبال؟
- لماذا سالت النساء أنهارًا، في أعماق جبال (الأنديز)؟
- لمن سيكون النصر، وسط ذلك الفوضى من الذئاب والدماء؟
- اقرأ الطاحيل المثيرة، لتعرف كيف يعمل (رجل المستحيل)



العدد القادم: رحلة الهلاك

www.dvd4arab.com

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للتوزيع والترويج  
للكتاب

## ١ - بين أسنان القرش ..

أشرقت شمس الصباح على مدينة (يما) ، عاصمة (بيرو) ، وألقت ضوءها على مبنى السفارة المصرية ، الذى يحتل ناصية مميزة ، فى أرقى أحياء العاصمة ، ونفت السفير المصرى دحمان سجارته فى عمق ، وهو يتطلع إلى سلسلة جبال (الإنديز) ، التى تبدو شاحبة فى الأفق ، فغمضت زوجته فى صوت خافت ، وكأنها تخشى أن يعلو صوتها على صوت الفكاكه :

— أهازلت تفكر فى رجل المخابرات ؟

أوماً برأسه إجاباً ، وتعمق فى قلق واضح :

— لا يمكننى التفكير فى سواه ، إنه شاب والى ، لم يتردد لحظة فى اقتحام جبال الموت .. لاستعادة زميلته المخطوفة (\*)

رُبعت زوجته على كفه فى هدوء ، وغمضت :

— حياة رجال المخابرات تختلف عن حياتنا يا عزيزى ، فالأمر الذى ننظر إليها برعب وفزع ، وتحررها أمراً لا يشيب

(\*) راجع الجزء الأول ، قصة (جبال الموت) .. المقامرة رقم (٥٢) .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

أيدى ذئاب الجبال ، وقررت المخابرات المصرية القيام بعملية تأديبية ، لتلغى ذئاب الجبال درساً قاسياً ، وتطوّر هو و (منى) هذه المهمة .. (\*)

وتذكر كيف بدأت المهمة باشتباك مباشر مع ذئاب الجبال ، فى حديقة السفارة المصرية ، وكيف تطوّر الأمر إلى صراع عنيد بينهما ، وبين (سانشو) ، زعيم الذئاب ، الذى يعاونه رجل (الموساد) (جولدمان) ، وكيف أعد (سانشو) خطة شيطانية محكمة ، أمكنه بواسطتها اختطاف (منى) ، ونقلها إلى وكر الذئاب ، فى أعماق (الإنديز) .. وانطلق (أدهم) خلف ذئاب الجبال ، واجتاز أمراً فى طريقه إليهم ، فعبّ هوة الموت ، وقاتل الذئاب الحقيقية فى وادى الهلاك ، حتى وصل إلى الوكر ..

ولأول مرة فى حياته ، وقع (أدهم) ضحية فخ لان ، اضطره للاختيار بين حياة (منى) أو حياته ..

واستسلم (أدهم) ..

لأول مرة فى حياته ، ذاق مرارة الخزيعة ..

(\*) راجع الجزء الأول : قصة (جبال الموت) .. المقامرة رقم (٥٢) .

لها الوليد ، قد يبدو هم أموراً روتينية عادية ، لا يرتجف لها رمش واحد منهم .

ابهم السفير فى شحوب ، وغمغم :

— ربما ، ولكننى لا أستطيع أن أنسى ، أنه يفعل ذلك من أجلنا أيضاً .

استعاد ذهنها بسرعة كل المخاطر ، التى تعرضت لها السفارة المصرية فى (يما) ، على أيدى منظمة (ذئاب الجبال) ، التى يسمى (أدهم) خلفها فى جبال (الإنديز) ، فشحب وجهها بدورها ، وأطرقت برأسها ، وهى تعغمم :

— نعم .. إنه يفعل ذلك من أجلنا .

\*\*\*

إنها عملية تأديبية !! عملية تأديبية !! عملية تأديبية !!

هوت تلك العبارة المتكررة فى رأس (أدهم) ، وهو يوى فى أعماق البئر السحيقة ، التى ألقاه فيها ذئاب الجبال ، واستعاد ذهنه القصة كلها ، مع سقوطه الخفيف ..

لقد بدأ الأمر بنفس العبارة ، حينما تعرضت السفارة المصرية ، وتعرض العاملون فيها لسلسلة من الحوادث ، على



وحكم عليه (سانشو) بالموت ، في أعماق البحر ، يحتل قراره بأسماء القرش المتوحشة ، وطيفا لشريعة الذئاب ، هو (أدهم) في البحر ، ومعه خنجر واحد ، بعد أن ألقى الذئاب بحيران ذبيح في أعماق البحر ..  
واقطعت ذكريات (أدهم) ، التي مرقت في رأسه كالبرق ، حيناً ارتطم جسده بمياه البحر ، وغاص وسط برودتها وظلامها ، ليبدأ صراعه مع أسماء القرش .

\*\*\*

كان الماء شديد البرودة ، مظلماً كليل بلا نجوم ، وشم (أدهم) رائحة دماء الحيوان اللذيذ ، وتحفرت حواسه ، انتظارا لهجوم أسنان القرش .  
واستكان (أدهم) في هدوء ، وترك جسده يطفو في سكونية ، دون أن يحاول تحريك أطرافه ، حتى لا يجذب انتباه أسماء القرش ، التي لا يراها من فرط الظلام ..  
كان موقفا رهيباً ، يحمده له الدم في العروق ، وكان (أدهم) يشعر بتوتر حقيقي ، وهو يحاول احتراق حجب الظلام بعينه ، ويتوقع أن تطبق أسنان القرش على جسده في أية لحظة ..

٨

ولجأة احتك به جسد ضخيم لزج ، وارتجفت المياه في قوة ، وتائر رذاذها في وجهه بعنف ..  
لم يكن يرى شيئاً ، ولكنه كان يعلم أن فك القرش مفتوح عن آخره ، استعداداً لالتهامة .

وغاص (أدهم) بجسده في أعماق المياه الباردة بسرعة ملحلة ، ودفع خنجره إلى الأمام في قوة ، وشعر به يخترق جسداً رخواً ، وتلاطمت المياه حوله في قوة ، واكتسبت طعم اللؤلؤ ، فنزع خنجره من جسد القرش ، وأسرع بغوص أعمق وأعمق ، مبتعداً عن الدماء ، فقد كان يعلم أن أسماء القرش الأخرى ، التي سيجعلها رائحة الدماء ، لن تلتفت إليه ، قبل أن تلتهم جسد قريبها الجريحة ..

وأخذ (أدهم) يتحسس جدران البحر بسرعة ، ثم اندفع عبر الجانب المفتوح منها ، وهو يكتم أنفاسه تحت الماء ، وينطلق وسط ظلام داس رهيب ..

وكانت رحلة مرعبة في أعماق الماء ..  
كان يشعر بمرور أسماء القرش إلى جواره ، وهي تندفع نحو رائحة الدم ، ويحاول تجاهلها ، وهو يواصل السباحة في الاتجاه العكسي ، مبتعداً عن مفد للهواء ..

٩

وأعادت إليه المفاجأة نشاطه وحيويته ، فأخذ يحرك ذراعيه وقدميه في الماء ، ليحفظ توازنه على سطحه ، وهو يدور بعينه في المكان ..  
كان النفل الذي يمر تحت الجبال ، ويحمل مياه الخيط ، يتوقف هنا ، فيما يشبه بحيرة صخرية واسعة ، صنعها الطبيعة داخل كهف فسيح ، ترتفع جدرانه شاهقة ، حتى فتحة في نهايتها ، يسقط منها ضوء الشمس في الشروق ، فيغمر الكهف بضوء هادئ ، شبه متجانس ..

كانت معجزة أن ينجو (أدهم) من هذا الموقف المهلول ، وأن يصل إلى هذا المكان بالذات ..

وأخذ (أدهم) يسبح في هدوء نحو حافة البحيرة ، وهو يشعر بالسعادة والعزم ، وبأن الله (سبحانه وتعالى) قد أراد له أن يواصل قتاله مع ذئاب الجبال ..

ولجأة شعر (أدهم) بصوت يشق الماء خلفه ، فالتفت في سرعة ، وعقد حاجبيه وهو يدهم :

— يبدو أن النهاية ليست قريبة إلى الحد الذي كنت أتصوره .

فقد كانت هناك زعيفة رأسية ضخمة تشق الماء نحوه ، وأسفلها سمكة قرش مفترسة ..

\*\*\*

١١

وطال انطلاقه في البحر المظلم الطويل . وشعر برغبة تكاد أن تفلجح من شدة احتياجه للهواء ، وبدا له الطريق طويلاً .. لا نهاية له ، وهو يشق الماء بذراعيه ، ويدفع جسده بقدميه ، حتى يشعر أخيراً أنه لم يعد يحتمل ، وغمره في أعماق نفسه باستسلام :

— لا تكابر يا (أدهم) .. لكل شيء نهاية ..

ثم دفع جسده دفعه أخيرة ، قبل أن يترك نفسه للتيار في استكانة ..

\*\*\*

لجأة اندفعت دفقة من الهواء إلى صدر (أدهم) ، وشعر بوجهه يرتفع فوق سطح الماء ، واتسعت عيناه في دهشة ، وهو يحدق في جدران كهف ضخيم ، من تلك الكهوف الرافدة في جوف الجبل ، وأغص عينيه في ألم ، حيناً سقطت أضواء الشمس على وجهه ، بعد سباحته لفترة طويلة تحت الماء ، في ظلام داس ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يتف في مزيج من الدهشة والظفر :

— يا إلهي !! يبدو أن ملك الموت لم يتيه إليك هذه المرة أيضاً يا (أدهم) .

١٠

## ٢ — بحيرة الدماء ..

لم تتوقف ( منى ) عن البكاء لحظة واحدة ، منذ رأت ذئاب الجبال ، وهم يدفعون ( أدهم ) إلى أعماق البر ، ومع كل دفعة تنهمر من عينيها ، كانت تسترجع ذكريات مهامها السابقة بصحة ( أدهم ) ، ووجدت نفسها تغرق في نوعه والم :

— وداعا يا ( أدهم ) .. وداعا أيها الحبيب .. يا من جبت أركان العالم الأربعة ، وحطمت حياة الجاسوسية والإجرام ، وداعا يا من كان اسمك وحده يثير الرعب في قلوب أعداء مصر .. وداعا يا رجل المستحيل .

فاجأها صوت ( جولدمان ) الشامت الساخر ، وهو يقول :

— يا لها من مرثية !! من الواضح أنك تحملين عاطفة قوية تجاه ذلك الشيطان المصرى ..

كان يتحدث بلهجة عربية ، ولهجة مصرية سليمة ، مما جعل ( منى ) تنفث في حق :

— إذن فقد قضيت شباهك في مصر أيها الوغد .  
ابسم ( جولدمان ) في سخرية ، ولووح بذراعه في حركة مسرحية ، وهو يقول :

— لقد كان لذلك عظيم الأثر في انغماسي إلى ( المواد )

أيها المصرية .

امتلات نفس ( منى ) بالغضب ، فهتفت في صرامة :

— كان ينبغي أن تشكك ، قبل أن تهاجر إلى إس ..

قاطعها ( جولدمان ) في سخرية :

— لقد حدث ذلك قبل مولدك يا فتاتي ، وقبل أن يبلغ

زميلك القليل الخامسة من عمره .

ارتجف جسدها لعبارة ، وعادت تنفث في غضب :

— سيعود ( أدهم ) أيها الخفي .. سيعود كما وعد .

أطلق ( جولدمان ) ضحكة ساخرة ، في نفس اللحظة التي

دخل فيها ( سانشو ) إلى الحجرة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول

في جدّة :

— ماذا يحدث هنا ؟

التفت إليه ( جولدمان ) ، وقال في سخرية ، مستخدما

اللغة الإسبانية :

— إنها تقول إن ذلك الشيطان المصرى سيعود .

ابسم ( سانشو ) في سخرية ، فقرض طرف سيجاره في

حركة سريعة ، ثم دس الطرف الآخر بين شفتيه ، وأظلمه وهو

يقول :



ودار حول سمكة القرش الرهبة ، وتعلق بزعنفتها الرأسية ،

ثم أعمد خنجره في جسدها بلا تردد ..

— يعود من بحر القرش !! .. يا لها من متفائلة !!

وتألفت عينا في وحشية ، وهو يردف :

— لو أنه فعل ، فسأطلق عليه عن حق ، لقب ( رجل

المستحيل ) .

\*\*\*

تركنا ( أدهم ) في البحيرة المغلقة ، في أعماق الجبل ، وسمكة القرش المفترسة تدفع نحوه ، وأبنتها الحاذقة تستعد لالتهامه ، وهو لا يحمل سوى خنجره ..

ولكن ( أدهم ) بدا — في هذه اللحظة — أهدأ من رجل يسترخى على مقعد وثير ، في حجرة أنيقة ، يستمع إلى موسيقى كلاسيكية هادئة ، فقد ابتسم في سخرية ، وغغم في حزم :

— الأمر هذه المرة يختلف يا سمكة القرش ، فانا أراك في

وضوح .

ولم يكذب بعبارة ، حتى غاص في أعماق البحيرة بسرعة ومهارة ، حتى أن أسنان القرش قد أظلمت على مزيج من الماء والفراغ ، في حين شق ( أدهم ) الماء أسفلها في قوة ، ودار حول سمكة القرش الرهبة ، وتعلق بزعنفتها الرأسية ، ثم أعمد

خنجره في جسدها بلا تردد ..

لأوت سمكة القرش ، وأخذت تضرب الماء بزعنفتها ،



وتفرض عميقاً ، بمحاولة التخلص من ذلك الشيطان ، الذى تثبت بزعمنا فى قوة ، وانها لن تنجح . بها بطمان قوية محكمة ، جعلت سطح البحيرة يصطبغ بدهائها ، فى حين كم ( أدهم ) أنفاسه تحت الماء ، وهو يقول لنفسه .  
— لا تدعها يهزمك يا ( أدهم ) .. لا بد لك من العودة .  
وانقاذ ( منى ) .

وفى ضربة محكمة أخيرة ، غرس أدهم خنجره حتى مقبضه ، فى عين سمكة القرش ، التى انقضت جسدها الضخم فى قوة ، ثم استكانت حركتها ، وبدأت تفرض فى أعماق البحيرة فى سكون ، فخلّص ( أدهم ) من زعنفتها ، وبدأ يدفع ذراعيه فى أعماق البحيرة ، بمحاولة الصعود إلى السطح ، ولكنه فوجئ أمامه بحمس من أسماك القرش ، تندفع إليه فى وحشية واضحة ..

\*\*\*

أولاً أن مراقباً قدّر له أن يشهد ما حدث فى تلك اللحظة . لأقلم فى ذهول ، أن ( أدهم صبرى ) هو أكثر أهل الأرض بروذاً وهدوءاً ، فقد واصل صعوده إلى سطح البحيرة ، متجاهلاً أسماك القرش الخمس تماماً ، حتى أنه عبر وسطها ، دون أن يلتفت إليها ..

١٦

والأعجب أنها لم تلتفت إليه أيضاً ..  
وكان ( أدهم ) يعلم أنها لن تفعل ..  
كان عقله ، الذى يعمل دائماً ، وبلا توقف ، يعلم أن أسماك القرش الخمس لن تهاجمه ، إلا بعد أن تلتهم جنة زميلها ، التى جذبتها إليها رائحة الدماء ، المنبعثة من طلعات خنجر ( أدهم ) ..  
وهذا ما حدث ..

لقد انقضت أسماك القرش الخمس على جسد زميلها ، فى حين صعد ( أدهم ) إلى سطح البحيرة ، وأخذ يضرب بذراعيه فى قوة ، سابحاً وشاطئها الصخرى ، ولم يكده يصل إليه حتى تثبت بالصخور ، وقفز خارج الماء فى رشاقة ، ثم استلقى على الشاطئ بسلام ، ويتطلع إلى الفجوة العالية فى قمة الكهف .  
لم يكن جسده قد ذاق طعم النوم لحظة واحدة ، منذ بدأ قتاله مع ذئاب الجبال ، وكان يشعر برغبة قوية فى أن يلقى عينه ، ويستسلم لنوم عميق ، ولكنه تذكر أن ( منى ) لم تزال أسيرة لدى ذئاب الجبال ، فعاد يستبدل فى نشاط مفاجئ ، وهب وانطلق على قدميه ، وتطلع إلى ارتفاع جدران الكهف ، وإلى الفجوة فى قمته ، ثم غمغم فى عزم :

١٧

— الوسيلة الوحيدة للخروج من هنا هى البحيرة ، أو فجوة السقف ، وأعتقد أنه ليس لى حق الاختيار .  
وثبتت خنجره فى عنق حدائه ، وانطلق يتسلق جدران الكهف فى عزم ..

\*\*\*

جلس ( سانشو ) يدخن سيجاره فى هدوء وتلذذ ، ويستمع إلى ( جولدمان ) ، الذى أخذ يقول فى حماس :  
— لقد حققت ما عجز عنه الكثيرون يا ( سانشو ) .. لقد قلت ( أدهم صبرى ) .

غمغم ( سانشو ) فى تفاخر :

— لم يكن ذلك أمراً عسيراً كما تظن يا سيور ( جولدمان ) ، ثم إن أحداً لم يهزم ذئاب الجبال قط .

ابتسم ( جولدمان ) فى ارتياح ، وقال :

— لقد جعلتني أؤمن بذلك يا ( سانشو ) ، حتى أننى طالبت دولتى برفع المبلغ الذى تدفعه لك إلى مليون ونصف مليون فى الشهر الواحد .

تألمت عينا ( سانشو ) فى جدل ، وإن لوح بذراعه على نحو يوحي بأن الأمر لا يعنيه ، فى حين تحولت لهجة ( جولدمان ) إلى الجدبة ، وهو يسأله :

١٨

— ماذا ستفعل بالفتاة ؟

مطّ ( سانشو ) شفتيه ، وقال :

— سأحصل على ثمنها .

عقد ( جولدمان ) حاجبيه ، وقال :

— ماذا تعنى ؟

أجابته ( سانشو ) فى هدوء :

— ستدفع السفارة المصرية ثمناً كبيراً لاستعادتها بالتأكيد يا سيور ( جولدمان ) .

وعادت عيناه تترقان فى شراسة وسخرية ، وهو يستطرد :  
— ولن أقل أقل من مليون دولار دفعة واحدة .

\*\*\*

بجهد شاق ذلك الذى بذله ( أدهم ) ، حتى نجح فى الصعود إلى تلك الفجوة ، فى أعلى الكهف ..

كانت الصخور حادة مؤلمة ، وكان الارتفاع شاهقاً .. ولكن إرادة ( أدهم ) كانت أحزم من الصخور ، وأكثر ارتفاعاً من جدران الكهف .

لقد هزم الجبل ، ولكن عضلاته كانت تتجحف ألماً وإرهاقاً ، وهو يعبر الفجوة إلى الخارج ، حتى أنه لم يستطع

١٩

### ٣ — ملك الذئاب ..

لم يكن الموقف جديدا بالنسبة لـ ( أدهم ) ، ولكنه كان رهيبا ..

كان جسده يكاد يهوى من شدة إرغائه ، وقطيع من الذئاب يواجهه في تحفز واضح ، وهو لا يملك سوى عجز واحد ، وتلك الصخرة التي احتمى فوقها في المواجهة السابقة ، تقع بعيدة ، على بعد مائتى متر تقريبا .. ولأول مرة في حياته شعر ( أدهم ) باليأس ، ولكنه لم يند بأسه هذا ..

كان عيدا صارما ، حتى أمام الذئاب ، لذا فقد نصب هامته ، وأطل الحزم من عينيه ، ومد يده في هدوء ، يستل عجزه ، ويشهره في وجه قطيع الذئاب كله .. وكان النصر في هذه المرة مستحيلا .. حتى بالنسبة لرجل المستحيل ..

وعُيِّل إليه أن الوقت يحضى ببطء ، وأن قطيع الذئاب يتفرس فيه بأمعان ، دون أن يتحرك أحدها ، وبات الموقف أشبه بلوحة صامتة ، ساكنة ، لا تتحرك فيها حتى الرياح .. ثم انفصل ذئب عن القطيع ..

٢١

الوقوف على قدميه ، فألقى جسده على الأرض ، وأخذ يلهث في قوة ، ويتطلع إلى الشمس في ارتياح .. ومضت ساعة تقريبا ، وهو مستلق على الأرض الصخرية ، وحده الشمسي بغمرة ، وبهت في جسده الدفء والراحة ، حتى أنه أغلق جفنيه في تراخ ، واستجاب لصراخ جسده المتضرع ، المتهلئ إلى الراحة .. وبدأ النوم يتسلل إلى جفنيه في هدوء لذيذ ، واسترخت عضلاته التي أرهقها التعب ، وطالت يقظتها ، ولكن .. انتزعته من استرخائه فجأة عواء قوي ، فقفز واقفا على قدميه ، وتطلع في توثر إلى قطيع الذئاب ، الذي يحذق فيه بعيون شرسة وحشية .. وكشف في هذه اللحظة إلى أين قادته الفجوة .. لقد عادت به إلى وادي الهلاك ..

\*\*\*

٢٥

— فليبق لك زعامتك يا صديقي ، وما كفى بمنصب رئيس شرف ..  
ثم صار عبر قطيع الذئاب في هدوء ، ولوح بيده في بساطة ، وهو يردد :  
— إلى اللقاء أيها الذئاب ، سأذكركم بالحير ، حينما أواجه ذئاب البشر ..  
وسرعان ما اختفى وسط الغابة الكثيفة ، على حافة وادي الهلاك ..

\*\*\*

( أحد مواطني ( بيرو ) يطلب مقابلتك شخصيا يا سيادة السفير ..  
رفع السفير المصري عينيه إلى سكرتير مكتبه ، الذي نطق بالعبارة في صوت قلبي ، يشف عن أهمية الأمر ، فسأله في اهتمام :

— وما الذي يقلقك في هذا ؟ .. إنها ليست أول مرة يطلب فيها أحد المواطنين هنا مقابلي ..  
غمغم السكرتير في نبرات مترقنة :  
— إنه يدعى ( ساتشو ) ، وهو ضخم ، أصلع ، ذو لحية كثرة ..

٢٣

ذئب ضخم ، تقدم نحو ( أدهم ) في هدوء ، حتى أصبح على قيد خطوات منه ، وتحفزت عضلات ( أدهم ) للقتال ، واشتدت قبضته حول مقبض عجزه ، ولكن اللذئب أحنى رأسه أمام ( أدهم ) ، وأطلق عواء خافا ، مستسلما ، ثم ركع عند قدمي ( أدهم ) ..

وهنا تبين ( أدهم ) الموقف كله ..

لقد كان نفس الذئب ، الذي هزمه ( أدهم ) في المرة السابقة ، وما هو ذا يرفع لواء الطاعة والولاء ، ويؤكد زعامته ( أدهم ) ، الذي اتسعت عيناه في دهشة ، حينما قلدت باقي الذئاب قائدها ، وركعت بدورها ، ورددت أمام ( أدهم ) ..

لقد التحت لمملكة الذئاب أمام واحد من البشر .. أمام ( أدهم صبرى ) .. ملك الذئاب الجديد .. وأطلق ( أدهم ) زفرة قوية ، قبل أن يهتف في دهشة :  
— يا إلهي !! .. إن ذاكرة هؤلاء الذئاب أقوى مما كنت أتصور ، إنهم مازالوا يذكرون هزيمتي لقائهم ، وما زالوا يحثرون زعيمهم الجديد ..

أعاد إليه الموقف اللدهش العجيب نشاطه ، وثقه بالنصر ، فأعاد عجزه إلى عنقه ، ورثب على رأس زعيم الذئاب في هدوء ، وهو يقول :

٢٢



اتسعت عينا السفير في دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يفهم :

— هل قُتله رجال الأمن ؟

أوماً السكرتير برأسه إيجاباً ، وغمغم :

— إنه لا يحمل أية أسلحة .

ظهر التفكير لحظة على وجه السفير ، ثم قال في حزم :

— حسناً .. أحضره إلى هنا ، واطلب من رجلى أمن

حضور الحديث بيتاً .

أصرع السكرتير يلى الأمر ، ولم تكذب قضي لحظات ، حتى

عبر ( سانشو ) باب حجرة السفير ، وهو يتسم في سخرية ..

وخلفه اثنان من رجال الأمن ، يصوب كل منهما مسدسه إليه ،

وقال ( سانشو ) متفكماً ، وهو يبدو عجيباً في حلقه الأنيقة :

— يبدو أن رجالك لا يتقون في كوني مجرداً من السلاح

أيها السفير .

سأله السفير في صرامة :

— ماذا تريد يا زعيم ذئاب الجبال ؟

رفع ( سانشو ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وقال :

— إذن فأنت تعرفني !! .. هذا أفضل ، حتى لا نضيع

الوقت في تعارف سخيف .

ثم جلس على المقعد المقابل لكعب السفير ، دون أن يدعو أحداً للجلوس ، والنقط في وقاحة سيجاراً ، من العلبة الصدفية الموضوعة فوق المكتب ، وأشعله في برود ، وهو يستطرد :

— لقد وصلنا رسالتكم ، على هيئة ضابط مخبرات مصرى وزميلته ، ولقد أتيت لأخبر لكم عن شكرنا وامتناننا .

امتلات نفس السفير بالقلق والتوتر ، وهو يقول في جدّة :

— أين ( أدهم ) ؟ ( منى ) ؟

ابتسم ( سانشو ) في سخرية ، ونفث دخان سيجاره ، وهو يقول في برود :

— نرى كم تساوى حياتهما لدى الحكومة المصرية أيها

السفير ؟

عاد السفير يسأله في غضب :

— أين هما ؟

هزّ ( سانشو ) كتفيه في استهتار ، وقال :

— نرى أنكم تكون مليون دولار نقداً هنا في السفارة ؟ أم

أننى سأضطر إلى صرف أحد شيكاتكم من بنك ( بيرو ) ؟

كان هذا بمثابة إعلان صريح عن الهدف من زيارة

( سانشو ) ، فراجع السفير في دهشة ، كمن تلقى صدمة

قوية ، وشخب وجهه ، وهو يفهم :

— ولكن أبوع ما فعله كان ذهابه إلى السفارة المصرية

بنفسه هذا الصباح ، وهو يؤكد أنهم سيذهبون مليوناً من

الدولارات ، في مقابل حياة رجل ميت يا ( ديور ) .

أطلق ( ديور ) ضحكة ساخرة ، وقال :

— اعتقد أنه ينبغي أن تحصل أسماك القرش على نصيبها من

المليون دولار .

توقفت ضحكة الساخرة في حلقه ، وجفّ لعابه فجأة ،

حيناً أتى من خلفه صوت ساخر ، يقول :

— اطمئن أيها الوغد ، ستحصل أسماك القرش على نصيب

أوفر ، من أجسادكم .

لفظ ( ديور ) و ( ريجز ) في ذعر ، وأسرعاً إلى مدفعيهما

الرشاشين ، ولكن الأول شعر بقبلة تفجير في وجهه ،

وبأسنانه تتطاير ، وترطم بحلقه ، ليطلع لثلاً منها على الرغم

منه ، في حين انقضت صاعقة على معدة الثاني ، فنجحت عيناه

في ألم وذعر ، وكاد يصرخ متألماً ، ولكن مطرقة فولاذية ،

تحمل شكل قبضة بشرية ، هوت على فكّه ، فهشمت في صوت

مسموع ، وسقط إلى جوار زميله مجنحلاً ..

أسرع ( أدهم ) يسحب الرجلين إلى ما خلف أحد

— هل تعلم أننى أستطيع احتجارك هنا بالقوة ، ومقايسة

حياتك القدرة بحياتهما ؟

هزّ ( سانشو ) كتفيه في استهتار ، وقال :

— إنك لن تفعل أيها السفير ، فحياتي لن تساوى حياتهما

لديك .

ثم نهض في هدوء ، وقال :

— مليون دولار نقداً قبل مساء الغد ، وإلا فسنأول أسماك

القرش وجبة مصرية شهية .

وانصرف بسرعة ، وهو يهين نفسه على ذكائه ، حيناً لم يخبر

السفير عن مصرع ( أدهم صبرى ) .. كما كان يتصور .

\*\*\*

نفث أجد ذئاب الجبال دخان سيجارته في وجه القمر ،

الذى بدأ يبرز من خلف الجبال ، مع قدوم المساء ، وانضت

إلى زميله ، قائلاً :

— لقد أثبت ( سانشو ) ذكائه وقوته هذه المرة

يا ( ريجز ) ، لقد أجبر ذلك الشيطان المصرى على

الاستسلام ، وألقاه في بئر القرش .

ابتسم ( ريجز ) ، وقال وهو يشمل سيجارته بدوره :

## ٤ - واشتعلت الجبال ..

الغرب (سانشو) من (منى) ، المقيدة في ركن حجرته ،  
والخني نحوها ، قائلاً في سخرية :

— لقد خسرت هذه المهمة تمامًا يا فتى ، لقد قلت  
زميلك ، وستدفع دولتك مليونًا من الدولارات في مقابل حياته  
وحياتك ، أرايت ما هو أكثر طرافة من ذلك ؟

امتثلت عينا (منى) بالدعوى ، وهي تحث في حثي :  
— إنني أفتي رؤية (أدهم) وهو يحطم فمك المقيت هذا .  
أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة ، والصفت إلى  
(جولدمان) ، الذي يجلس هادئًا في الركن الآخر من  
الحجرة ، وقال :

— يبدو أن هؤلاء المصريين يؤمنون بالبعث حقًا يا سيور  
(جولدمان) ، إن هذه الفتاة تصوّر أن زميلها الشيطان  
سيعود من العالم الآخر ليحطم فمك .

انقسم (جولدمان) في سخرية ، وقال :  
— سيكون هذه هي أول مرة يعود فيها شيطان من الجحيم ..  
وارتحل جسده كريمة في مهب الريح ، حينًا ارتفع صوت  
(أدهم) الساخر يقول :

الأشجار ، ثم جردهما من مسدسهما ، وتأكد من امتلاكهما  
بالذخيرة ، ودسهما في حزامه ، ثم التقط مدفعيهما الرشاشين ،  
فثبت أحدهما في كتفه ، وأمسك الآخر في قوة ، وهو ينغمس  
في عزيمته :

— لقد عاد (أدهم صبرى) يا أوغاد الجبال .

\*\*\*



— سجل التاريخ إذن أيها الوغد ، فيها هي ذى المرة الأولى  
تحدث في وجودك .

\*\*\*

كان وقع ظهور (أدهم) قويًا ، عجيبًا ، متباينًا ، فقد  
شحبه وجه (جولدمان) كالقوى ، وغاض في مقعده ، وهو  
يرتحف كحشرة مطلة في جو شديد البرودة ، وتراجع  
(سانشو) مصعوقًا ، وجمحت عينا ، وهو يحذق في  
(أدهم) ، الذي أخلق باب حجرة (سانشو) خلفه ، ووقف  
ينغمس في سخرية ، مرتديًا حلّة الصاعقة ، ومصنوبًا مدغمه  
الرشاش إلى هذا الأخير ..

أما (منى) فقد خلق قلبًا في قوة ، وتراقص بين جبلها ،  
وتفكرت دسوع القرح من عينا ، واحتق صومها ، قبل أن  
تهتف في سعادة ثم تشعر بتغلها من قبل :

— (أدهم) .. أنت ؟ أنت حتى ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— يبدو أن أسماك القرح لم تستغ طعمي يا عزيزتي .  
وهنا هتف (سانشو) في ذهول :

— هذا مستحيل !! لا أحد يعود من بئر الموت .

مز (أدهم) كليله ، وهو يقول في سخرية :

— إذن فانا أجل اسم (لا أحد) أيها الوغد .

حلق (سانشو) في وجهه بدهول ، في حين استنرد  
(أدهم) في صرامة :

— والآن حلّ قيود زميلتي في هدوء ، وحدار أن ترتكب  
حركة واحدة مريبة ، وإلا أطلقت رصاصات مدفعي الرشاش  
في جسدك الضخم .

تردد (سانشو) لحظة ، ثم سأله في حثي :

— كيف نجحت في الوصول إلى هنا ؟

مط (أدهم) شففيه ، وقال :

— لقد اضطررت للتخلص من ستة من ذئابك ، وأنا أشتي  
طريقي إليك أيها الوغد ، ولقد عارلتني استرخائهم ، وهم  
يظنون أنهم قد تخلصوا مني تمامًا .

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، في حين انتزع  
(جولدمان) نفسه من شحوبه ، وذهوله ، ورعبه ، وهو  
يقول في ضراعة :

— لا تقتلني يا سيور (أدهم) ، أرجوك ، سأدفع لك

نصف مليون دولار ، في مقابل ..





ثم عاد ينض في شراسة ، وهو يمسخ عبط الدم السائل  
من لفه المغطس ..

( ٣٢ - رجل المسجل - ذئاب وماء ( ٥٣ ) )

قاطمه ( أدهم ) في صرامة :

— صه أيها الوغد ..

وفجأة قفز ( سانشو ) نحو ( أدهم ) ، وهو يصرخ في غضب :

— إنك لن تهزمني أيها الشيطان ، حتى وإن عدت من أعماق الجحيم .

\*\*\*

كان حجم ( سانشو ) يفوق حجم ( أدهم ) كثيرًا ، ولكن ( أدهم ) كان يفوقه مرونةً ، وقوةً ، وكان يمكنه أن يطره برصاصات مدفعه الرشاش ، ولكنه ، ولسبب ما في أعماقه ، كان يريد حيًّا ، لذا فقد ألقي مدفعه الرشاش ، وتلقى ( سانشو ) بلكمة ساحقة في فكه ، أعقبها بأخرى كالقبلة في معدته ، ثم ثالثة كالصاعقة في أنفه ..

وترنَّح ( سانشو ) ، وسقط أرضًا ، ثم عاد ينض في شراسة ، وهو يمسخ عبط الدم السائل من أنفه المغطس ، وهو يقول :

— إذن فأنت تميل إلى القتال اليدوي ، حسنًا أيها الشيطان ، أنا أيضًا أهوى هذا النوع من القتال .

٣٣

وصلت صيحة ( جولدمان ) إلى آذان ( أدهم ) و ( مني ) ، و ( سانشو ) ، فهتف الأخير في وحشية ، وهو يتحفز للانقضاض على ( أدهم ) مرةً أخرى :

— لقد خسرت هذه المرة أيضًا أيها الشيطان .

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— كلاً أيها الوغد ، فالأمر يختلف هذه المرة .

ثم قفز قفزة قوية وشيقة ، وركل أنف ( سانشو ) بقدمه اليسرى ، ودار جسده في الهواء ، ليركل فكه بقدمه اليمنى ، قبل أن تستقر قدماه على الأرض ، وتغوص قبضته اليمنى في معدة ( سانشو ) وتطلق قبضته اليسرى في صدره ، وما أن انحني ( سانشو ) من فرط الألم ، حتى ضم ( أدهم ) قبضته ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة صاعقة ، أطلق بعدها ( سانشو ) حوازا كالنور ، وسقط تحت قدمي ( أدهم ) جثة هامدة ، وهنا قفز ( أدهم ) نحو ( مني ) ، ومزق قيودها بضربة سريعة محكمة من عنبره ، وهو يقول :

— هيا يا ( مني ) ، سأحتاج إلى تعاونك .

أسرعت ( مني ) لتلقط مدفعًا رشاشًا ، وهي تسأله في نوالر :

وانطلق نحو ( أدهم ) في شراسة ، وطوّح بقبضته نحو فكه ، ولكن ( أدهم ) غاص إلى أسفل في سرعة ومهارة ، متباديًا اللكمة ، ومال جانبًا في رشافة ، ثم انطلقت قبضته في فك ( سانشو ) ، وانطلقت الأخرى في معدته ، وهو يقول في سخرية :

— أعترف أنك تهوى القتال اليدوي أيها الثور ، ولكنني — لسوء حظك — أحترله .

جلس ( جولدمان ) يراقب ذلك القتال في دعر وشحوب ، ثم لم يلبث أن تنبّه إلى الفرصة المتاحة له ، في أثناء انشغال ( أدهم ) و ( سانشو ) في القتال ، فقفز من مقعده ، وانطلق إلى باب الحجرة ، ومنه إلى الخارج ، وهو يصرخ في انفعال :

— هلموا يا ذئاب الجبال .. لقد عاد الشيطان المصري ، وهما هو ذا ياجم زعيمكم ( سانشو ) .. هلموا أيها الذئاب . وفجرت صيحاته دهول ذئاب الجبال لحظةً ، ثم انفض كل منهم مدفعه الرشاش ، وانطلقوا النجدة زعيمهم ، وقتل ( أدهم ) صبري .

\*\*\*

٣٤

٣٥

على بعد آلاف الأميال من جبال ( الإنديز ) ، وفي إدارة  
اخبارات العامة المصرية ، كان القلق والتوتر يسيطران على  
المكان ، حيث تم عقد اجتماع مصغر ضم مدير اخبارات  
العامة ، ونائبه ، و ( قدرى ) ، وغيره ، للتزوير في الإدارة ،  
ليبحث أمر التهديد الذي تلقاه ( سانشو ) ، والذي أبقى به  
السفير المصرى ثوبا ، إلى مقر اخبارات المصرية في القاهرة ،  
وكان مدير اخبارات يقول :

— المبلغ نفسه لا يقلقنا ، ف ( أدهم ) يستحق ما هو أكثر  
من مليون دولار ، ولكن من يضمن لنا أن نستعيد ( أدهم )  
و ( منى ) ، بعد دفع الفدية ؟

أجاب ( قدرى ) في قلق واضح :

— يمكننا أن نطالب بتأكيد وجود ( أدهم ) و ( منى ) على  
قيد الحياة ، قبل أن ندفع دولارا واحدا يا سيدي .

وهنا هفت نائب مدير اخبارات :

— اعتقد أن لدي فكرة مناسبة .

التفت إليه المدير و ( قدرى ) في اهتمام ، فاستطرد في  
القول :

— هل قتله ؟

دفع الباب مقدمه ، ثم أخلقه في إحكام ، وهو يقول :  
— إنه يستحق ذلك ، ولكنى لم أفعل ، فأنا أريده حيًا ..  
إنه فاقد الوعي فحسب .

ولم يكذب عبارته حتى انتهت رصاصات المدافع الرشاشة  
على الكوخ ، واشتعل القتال الشرس في أعماق ( الإنديز ) .

\*\*\*



تتمت ( منى ) في تولر :

— عذا مستحيل .

ثم أردفت :

— ولكن بقاءنا هنا إلى الأبد مستحيل أيضًا ، فلن يسمح  
لنا هؤلاء الأوغاد بمغادرة المكان أحياء .

التفت ( أدهم ) إلى ( سانشو ) ، الفاقد الوعي وسط  
كوخه ، وقال :

— ربما لو هددناهم بقتل زعيمهم ..

قاطعه ( منى ) في تولر :

— لن يرضخوا بأنفسهم من أجل أى كائن كان ، حتى  
( سانشو ) هذا .. لقد عاشتهم طويلاً يا ( أدهم ) ، وأجزم  
أنهم أكثر شراسة من الذئاب الحقيقة ، ولن نجد بينهم شيئاً  
واحداً ، يضحي بنفسه من أجل هذا الوحش .

عقد ( أدهم ) حاجبيه في تفكير عميق ، وهو يهمهم ،  
وكأنه يحادث نفسه :

— لاأجد من وسيلة للخروج من هنا .

اختلست ( منى ) النظر إلى الخارج ، عبر فجوة صغيرة في  
جدار الكوخ ، ثم هفت في ذعر :

— من الطيبي أن يرفض ( سانشو ) هذا إحسان  
( أدهم ) و ( منى ) إلى مكان مختاره ، ولكنى لا أظنه  
سبحر حش ، إذا ما طلبنا منه اصطحاب أحد رجالنا إلى حيث  
يضع ( أدهم ) و ( منى ) ، للتأكد من وجودهما على قيد  
الحياة ، قبل دفع المبلغ .

عقد المدير حاجبيه ، وقال :

— يمكنه أن يقتل ( أدهم ) ، بعد انصراف رجلنا .

ساد الصمت مرة أخرى ، ثم غمغم ( قدرى ) :

— أعتقد أنه ليس أمامنا يا سيادة المدير سوى دفع الفدية ،  
وانتظار النتائج في استسلام .

ثم أردف في حقيق :

— هذا إذا كنا نريد ( أدهم ) و ( منى ) حقا .

\*\*\*

انتهت رصاصات ذئاب الجبال على كوخ ( سانشو )  
كالطر ، وغمغم ( أدهم ) وهو يجذب صمام مدفعه الرشاش :  
— من حسن حظنا أن ( سانشو ) قد حصن كوخه الخشبي  
في إحكام ، اتقاء لأي هجوم خاطف ، فسمك أخشاب الكوخ  
لن تسمح بمرور الرصاصات ، إلا إذا أصابت عدة رصاصات  
القلب نفسه .



— يلبس ألبم قزروا لفسنا يا (أدهم) ، إهم يحضرون  
مجموعة من القنايل اليدوية  
أسرع إليها (أدهم) ، وتطلع عبر المجرورة لحظة ، ثم  
غصم :  
— نعم .. إهم يحملون القنايل اليدوية ، وهذا سلاح  
لو حذنين .

سأله (منى) لى قلق .

— ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

— أهنى أن تأثر القنايل اليدوية يعتمد على المنطقة ، التى  
تفجر فيها يا (منى) .

ثم حطيم نافذة الكوخ الخشبية الصغيرة بكعب حذائه ،  
وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو ذئاب الجبال .

\*\*\*

لم تكن رصاصات (أدهم) مجرد طلقات منفردة ، لقد  
حولتها مهارته وعقليته المنظمة إلى قنايل متفجرة ، فهو لم يطلق  
رصاصة واحدة نحو ذئاب الجبال ، بل أصابت رصاصاته  
القنايل اليدوية التى يحملونها ..  
وانفجرت القنايل ، وفقرت أجساد الذئاب فى الهواء ،

٤٠

ثم انتقل على (أدهم) ، وطوق عنقه بذراعه من الخلف ،  
وهو جيت فى وحشية :  
— إنى يا رجال ، لقد أصيبت الشيطان .. إنى يا رجال .

\*\*\*

كان مجموع (سانشو) مباحثا ، عتيقا ، ولكن (أدهم) أدار  
ذراعه حول جسده فى سرعة ، وقبض على ياقة قميص  
(سانشو) ، وانحنى إلى الأمام ، ليلقى هذا الأخير عن ظهره ، ثم  
ركل وجهه فى قوة ، ودفعه بعيدا عنه ، وقفز ليواصل إطلاق النار  
على رجاله ، ولكنه فرحن بفوهات المدافع الرشاشة فى وجهه ،  
ورأى (منى) مجردة من مدفعها الرشاش ، ترفع ذواحيها فى  
استسلام ، وسمعتها تغمغم بصوت آسف ، وبعينين دامعتين :  
— لقد فاجأتى مجموعته ، وحياا التفت إلى صراخها ،  
باضى هؤلاء الذئاب ، وجردولى من سلاحى .  
شعر (أدهم) بالتحق لحظة ، ولكنه لم يلبث أن استعاد  
هدوءه ، وهو يقول :

— لا بأس يا عزيزى ، هذا هو القدر .. لقدزنا .

بعض (سانشو) والعشب يتناثر من عنقه وملاحه ، وعاد  
يمسح دماء جراحه بكفه ، وهو يقول فى ثورة :

٤٢

وتحول المكان فى لحظة إلى ساحة قتال مشتعلة ، وصرخ أحد  
الذئاب فى ذعر :

— أبعدوا القنايل ، أو انقرها على الكوخ ، فهذا الذئب  
يستغلها لصالحه

وانطلقت القنايل الباقية نحو الكوخ ، وانفجرت حوله فى  
قوة ، وصقط جداره الأيسر ، فصرخت (منى) :

— لقد فقدنا أحد سواترنا يا (أدهم) .

ولكن الجزء الثانى من عبارتها اخضى مع صوت رصاصات  
(أدهم) ، حينما قفز إلى الجانب المكشوف من الكوخ ، وأخذ

يطلق رصاصاته فى إصرار ، وقوة ، ومهارة ..

كانا رجلا وحياة أمام جيش من الذئاب ، وكان الموقف  
لا يوحى أبدا بالنصر ..

واستعاد (سانشو) وعيه وسط المعركة ، وتطلع بعينين

زائغتين إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين انهمكا فى إطلاق النار  
على رجاله ، فلاحظا عن حياهما ، فمسح الدم الذى يقرث أنفه  
وفمه بكفه ، وغمغم فى شراسة وخفوت :

— من الخطأ أن ترى عدوك ظهره فى أثناء القتال ، أيها

الخيطات المصرى

٤١

— سأمر لكما أوتيا .. ستدفع لمن تلك الدماء أيها الشيطان  
المصرى .

انهم (أدهم) لى سخرية ، وقال :

— اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

صاح (سانشو) فى غضب هائل :

— ستدفع الثمن ، ستدفع الثمن .

ثم أشار إلى رجاله صائحا :

— أعدوا الحقل يا رجال ، سنشعل النيران فيهما الليلة .

وستأكل الذئاب لحمنا مشويا لائنين من المصريين

\*\*\*



٤٣

أعاد السيف المصرى لى (يما) قرامة البرقة ، الواردة إليه من القاهرة ، للمرة الثالثة ، ثم تمهد ، وقال لسكرتيره :  
— البرقة صريحة .. لقد وافقوا على دفع القدية كاملة ،  
وهون قيد أو شرط .

عقد السكرتير حاجيه ، وقال :

— هل سندفع مليون دولار لذلك الوغد (سانشو) ؟

مطأ السيف ضفيعه ، وقال :

— نعم .. هذا ونقلا .

غمغم السكرتير فى سخط :

— لماذا ما فعله غابريالنا مع ذئاب الجبال ؟

هتف السيف فى صرامة :

— لقد فعل (أدهم صبرى) ما لا يجرؤ على فعله رجل

آخر ، وهو يستحق عشرة ملايين ، لا مليوناً واحداً .

ثم عقد حاجيه ، وهو يردف فى قلق :

— ولكن معرفى القصيرة بهذا الرجل ، نجهلنى أدعو الله  
( سبحانه وتعالى ) أن أجده حياً ، حينئذ يتسلم (سانشو) القدية .

★ ★ ★

ظل (أدهم) هادئاً ، وذئاب الجبال يقبضونه إلى عمود  
عشى قوئ ، فى حين ارتجفت (منى) ، وهم يقبضونها فى  
عمود عشى مجاور ، وإن بذلت جهداً خارقاً للحفاظ على  
هدونها الظاهرية ، ولكن رجفة قوية سرث فى جسدها ،  
وامتلاء قلبها بخوف شديد ، حينما بدأ الذئاب يحيطون قاعدة  
العمودين بالخطب الجاف ، فغمضت فى صوت مرعد :

— لم أتصور أبداً أن نايانا ستكون على هذا النحو البشع .

أجابها (أدهم) فى حنان :

— تعددت الأسباب والموت واحد يا عزيزتى .

ترقرقت عيناها بالدمع ، وهى تصم .

— ولكن الموت حرقاً أمر بالغ البشاعة يا (أدهم) .

شعر (أدهم) فى تلك اللحظة أنه يكره ذئاب الجبال  
كراهية شديدة ..

لم يكن الموت يخيفه ، مهما كانت وسيلة ، ولكنه كان  
يشفق على (منى) ، من آلام تلك الميتة الرهيبة ، وتضاعفت  
رغبته فى الخلاص ، وحاول الوصول إلى عقدة الحبل الذى  
يقبضه بأطراف أصابعه ، فى حين استطردت (منى) فى صوت  
باك :

جسدكهما فى لحظات ، وسلقى هما إلى ذئاب وادى الهلاك ،  
حتى تظل ذكراك هناك إلى الأبد .

عقد (أدهم) حاجيه لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ،  
وقال :

— ذئاب وادى الهلاك أكثر رافة منكم أيا الجيرة .

تألفت عينا (سانشو) فى وحشية ، وهو يقول فى هجاعة :

— بلا شك أيا الشيطان ، فهى تخشى العبور إلى وكرنا ،

مهما عشتها الجوع

ثم مال نحو (أدهم) ، وسأله فى سخرية :

— هل هناك ما تريد قوله قبل أن أشعل ليك النيران أيا

الشيطان ؟

أجابته (أدهم) فى هدوء .

— نعم أيا الجربوع .

صغط (سانشو) أسنانه فى غضب ، وقال :

— ماذا تريد أن تقول ؟

ثم التفت عيناها دهشة ، وانتقلت دهشة إلى الجميع ، حينما

رفع (أدهم) رأسه إلى أعلى ، وأطلق عواء قويا ، كأنه ينادى بالذئاب .

★ ★ ★

من عزافى الوثيقة أننا سمعنا عقاباً يا (أدهم) .. لقد  
تجيت ظلك علينا صبرى .

• أطلق (جولدمان) ، الذى القرب منهما ، ضحكة  
ساحرة ، وقال :

— يا له من حوار شاعرى ، فى اللحظات الأخيرة !

خدجته (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— كم سعدنى أن أضع عنقك أيا الوغد .

عاد (جولدمان) يطلق ضحكته الساحرة ، ويقول .

— اهل ذلك حيننا نلقى فى الجميع ، أيها الشيطان

المصرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— من يذرى ؟ .. ربما التقينا قبل ذلك أيا الوغد .

القرب (سانشو) منهما ، وقال فى جدّة :

— ماذا يقول هذا الشيطان يا سنور (جولدمان) ؟

أعجزه (جولدمان) عن حديثهما ، فابتسم (سانشو) فى

سخرية ، وقال :

— إن جعيتك أقرب مما تتصور أيا الشيطان المصرى ،

منشغلي النار فى أكوام الخطب هذه ، وتستوى النار





واقرب بينهما (سانشو) في هذه اللحظة .  
وهو يحمل العنن المشتعل ..

مرّت لحظة من الصمت والذهول ، والجميع يحلقون في وجه ( أدهم ) ، الذي أطلق هواءه مرّة أخرى ، ثم أدار صفيه لي وجوههم بسخرية ، فهتف ( جولدمان ) :  
— لقد جنّ .. أراهن أنه فقد عقله ، لا ريب أن فكرة الموت حرقاً قد أطارت صوابه .

ظلّ ( سانشو ) يملّق في وجه ( أدهم ) لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يهمهم :  
— ينبغي ألا ندعه ينتظر طويلاً .  
وتحرّك في هدوء نحو بعض الأغصان المشتعلة بالنيران ، والتقط أحدها ، في نفس اللحظة التي سألت فيها ( مى ) ( أدهم ) في دهشة :

— لمّ فعلت ذلك يا ( أدهم ) ؟

ابسم في هدوء ، وهو يقول :

— إنه نداء الموت يا عزيزي .

هتفت في دهشة

— نداء الموت ؟ .. ماذا أصابك يا ( أدهم ) ؟

اقرب منهما ( سانشو ) في هذه اللحظة ، وهو يحمل الفصن المشتعل ، وقال وهو يلوح به في وجه ( أدهم )

٤٨

## ٧ — أنياب الذئاب ..

أثار انقراض الذئاب الحيوانية ذعراً هائلاً وسط ذئاب الجبال ، وانعمرت أنياب الذئاب في عشرات الأعناق ، وسألت الدماء أبهازا ، ونجح بعض رجال ( سانشو ) في التقاط ميدافهم الرخاسة ، وأخذوا يطبقون رصاصاتها على الذئاب في رعب ..

ووسط كل هذه المصعة ، صرخ ( سانشو ) في وجه ( أدهم ) :

— أنت الذي فعل هذا .. لست أدري كيف بحق الشيطان ، ولكنك فعلته ، وسأشعل النيران في جسدك ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي و ..

وفجأة تحرّز ( أدهم ) من قيوده ، بعد أن نجح في حل وثاقه ببراعة بحسده عليها ( هوديني ) نفسه<sup>(٥)</sup> . وهزت قبضته على فك ( سانشو ) كالقبلة ، وألقته به على بعد ثلاثة أمتار إلى الخلف ، وهو في ذهول شديد ، ولم يكذب ينهض حتى انقضت قبضة ( أدهم ) على فكّه مرّة أخرى ، وثالثة ، ورابعة ، فسقط

— وداعاً أيها الشيطان المصري ، ماصنع منك شيطاناً حقيقياً ، حيناً أشعل الجحيم في ساقيك .

ولفجأة تردّد في المكان صوت عواء قوي ، ولكن ( أدهم ) لم يكن صاحبه هذه المرّة ، بل كان مصدره نقطة ما وسط أشجار الغابة الكثيفة ، التي تحيط بؤكر ذئاب الجبال ، وجاوبه ( أدهم ) بعواء مماثل ، أثار دهشة الجميع ، فهتف ( سانشو ) في غضب :

— ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

لم يكذب يوم عبارة ، حتى ترددت عشرات الزعجرات الحيوانية من أعماق الغابة ، واتسم ( أدهم ) في سخرية ، وهو يقول :

— لقد حانت لحظة انجبار قوّتكم يا ذئاب الجبال وإثر صيحة قوية من حلق ( أدهم ) ، انطلقت عشرات من الذئاب الخيلية من وسط الغابة ، وانقضت على ذئاب الجبال ..

كانت معركة مرعبة ، بين الحيوان والإنسان

(٥) ( هوديني ) : ساحر شهير ، اشتهر بقدرته على التخلص من أصعب القيود ، في النصف الأول من القرن العشرين

زعم ذئاب الجبال فاقد الوعي ، دون أن يشعر به أى من رجاله ، وسط معركتهم مع أنياب الذئاب .

لم يشعر به سوى ( جولدمان ) ، الذى جمعت عيناه دُعرًا ، وهتف فى ذهول :

— هذا مستحيل !!

ثم التقط غصنًا مشتعلاً ، وجرى به نحو ( منى ) ، المقيدة فى العمود الخشبي ، وهو يتف فى جنون .

— مشتعل النيران .. مشتعل .

وأطلقت ( منى ) صرخة مدوية ، وقد بدا لها الموت حرقًا على قدم خطوة واحدة منها .

★ ★ ★

وسط صرخات الرجال ، وزججرة الذئاب ، وطلقات المدافع الرشاشة ، لم يسمح ( أدهم ) سوى صرخة ( منى ) ، فانضت إليها فى جذوة ، ورأى ( جولدمان ) يسرع نحوها ، والفصن المشتعل فى يده .

ولى حركة سريعة للغاية ، التقط ( أدهم ) الخنجر المثبت فى عنق حذاء ( سانشو ) ، وألقى به فى إحكام وبراعة ، فى نفس اللحظة التى انحنى فيها ( جولدمان ) ، ليشعل الحطب الجاف عند قاعدة العمود الخشبي ، الذى قيدت إليه ( منى ) .

٥٢

وشل الخنجر الهواء فى قوة ، ثم انخرق عنق ( جولدمان ) من الجانب الأيمن ، وبرز نصله من جانب عنقه الأسفل ، وجعلت عيناه ( جولدمان ) ، وترنح فى ذهول وألم ، ثم سقط جثة هامدة ، وسقط الفصن المشتعل فوقه ، فاشتعلت ثيابه ، وتحوّل فى لحظات إلى شعلة من النيران ..

وقفز ( أدهم ) إلى ( منى ) ، وحلّ وثاقها بسرعة ، وهو يقول :

— هيا بنا يا عزيزتى ، لقد تأجلت لحظة الليلة .

تملّكت بذراعه ، وهى تهتف فى سعادة :

— لقد كنت واقفًا .. لم أكن أعلم أنك تحب لغة الذئاب أيضًا .

ابسم ( أدهم ) ، وهو يجذبها قائلًا :

— هيا يا عزيزتى .. سنبعد عن هنا ، قبل أن تنهى المعركة .

أسرعا نحو الغابة الخلفية ، ثم تولّف ( أدهم ) ، وقال فى حزم :

— لحظة يا عزيزتى .. هناك أمر لابد أن أفعله أولاً .

والسعت عنها دهشة ، حينما عرفت هذا الأمر .

★ ★ ★

٥٣

عادت فوهات المدافع الرشاشة ترتفع ، وانطلقت ذئاب

الجبال تبحث عن ( أدهم ) و ( منى ) فى شراسة ، حتى

أصباحهم البحث ، فهتف أحدهم لى سخط :

— هل ستحركهما بفزان ؟

وهنا عقد آخر حاجبه ، وقال فى قلق :

— أين ( سانشو ) ؟

نهت عبارته الجميع إلى إخطاء زعيمهم ، فانطلقوا يبحثون

عنه فى كل صوب ، ثم لم يلبثوا أن اجتمعوا فى منتصف الوكر ،

وقال أحدهم فى تولّر ، وهو يوجه حديثه إلى شاب منهم ،

مفتول العضلات ، مجعد الشعر ، له شارب كث :

— لا أثر لـ ( سانشو ) فى أى مكان يا ( جارسيا ) .. لقد

بحثت بين الجثث وفى كل مكان ، ولم أفر على أدنى أثر له

عقد ( جارسيا ) حاجبه ، وقال :

— لا يوجد سوى تفسير واحد يا رجال .

تطلّع إليه الجميع فى مزج من القلق والتساؤل ، فأردف

فى لهجة حاسمة :

— لقد اصطحبه الشيطان المصرى منه .. بالقوة .

٥٤

استغرقت المعركة بين ذئاب ( سانشو ) ، وذئاب مملكة

الحيوان وقتًا قصيرًا ، أبقت الذئاب خلاله من صعوبة مواجهة

الأسلحة النارية . فأطلق زعيمها عواء قويًا ، وانطلق عائداً إلى

الغابة ، وبعده بالى القطيع ، الذى لم يلبث أن اختفى وسط

الأشجار المشايكة ، وإن ظل رجال ( سانشو ) يطلقون

مدافعهم الرشاشة لحظات ، قبل أن ترتفع أصابعهم عن

أزندعها ، ويسود الصمت التام فى وكر الذئاب ..

كان المكان يبدو غريبًا ، وهو يمتلئ بعشرات من جثث

الذئاب ، والرجال ، وتسيل فيه الدماء أنهارًا ، حتى أن البقية

من رجال ( سانشو ) ارتجفوا فى تولّر وخوف ، وهم يتنقلون

إلى بحيرة الدماء ، التى تخوض فيها أقدامهم ، قبل أن يتف

أحدهم فى خنق :

— كيف فعل ذلك الشيطان هذا ؟

زفر آخر فى حق ، وقال :

— إننى لم أر مثل ذلك فى حياتى كلها .. لقد بدا الأمر أشبه

بالروايات الخيالية .

وفجأة هتف ثالث :

— يا للشيطان !! .. لقد قرّ المصرى وزميلته .

٥٤



مرت همهمة غاضبة بين الصوف ، فاستطرد ( جارسيا )  
في حماس :  
— ولكننا سنستعيد زعيمنا يا رجال .. سنستعيده مهما  
كان الثمن .

★ ★ ★

استاد ( سانشو ) وعيه في بطنه ، وشعر بالقبود المحكمة ،  
التي تقيد مصميه في قوة ، وتناهي إلى سمعه صوت ( منى ) ،  
وهي تقول له ( أدهم ) في خفق :  
— مازلت لا أفهم لماذا تصطبب ذلك الحزير ممنا ، ونحن  
نسعى للهرب .. إنه سيهوى طريقنا ، ويجعل رحلتنا أكثر  
خطورة .

أجابا ( أدهم ) في هدوء :

— هذا الحزير أعطر الذئاب يا ( منى ) ، وأكثرها ذكاء  
روحانية ، ووجوده معنا ، وأمام عيوننا ، يجعلنا في وضع أكثر  
أماناً ، من أن يسعى رجاله خلفنا تحت قيادته .  
هزّت ( منى ) كفتها ، وقالت :  
— مازلت أصغر على خطر اصطحابه .  
فصح ( سانشو ) عليه ، وقال في برود :

٥٦

— استمع إليّ أيها الشيطان ، فهي على حق .  
عقدت ( منى ) حاجبها ، وهي تلفت إليه في خفق ، في  
حين تطّلع إليه ( أدهم ) في سخرية ، وقال :  
— مالا أحببت شفيك حفاظاً على أسنانك أيها الوغد .  
عريد الغضب على وجه ( سانشو ) ، وقال في جدّة :  
— أنت مغرور عتيد أيها الشيطان ، وجودي معك سيدفع  
رجالي كلهم لمطاردتك في شراسة ، وسيكون على رأسهم  
تلميذي ( جارسيا ) ، الذي سيضيق الحناق حولك ، حتى  
يقتلك ، أو تستسلم له .

هضم ( أدهم ) في سخرية :

— هل سيغاطر يقتل أستاذي ، وزعيمه ؟

عقد ( سانشو ) حاجبها ، وهو يقول في شراسة :

— إنه لن يتردّد في قتل ، إذا ما كانت هذه هي الوسيلة  
الوحيدة لهزيعك ، ولقد لقيته أنا هذا الدرس ، وهو تلميذ نجيب .  
صمت ( أدهم ) لحظة ، تبادل فيها نظرات التحدي مع  
( سانشو ) ، ثم قال :

— ستكون هناك وسيلة للفرار ، دون مواجهة رجالك ،  
ولا شك

٥٧

— ولكن يا ( أدهم ) ..  
عاد بقاطعها ، قائلاً :  
— لا فارق يا عزيزي .. كل الطرق تقود إلى نهاية  
واحدة .  
واستمع استماعة شاحبة ، وهو يردف في هدوء :  
— الموت .

★ ★ ★



٥٩

هتف ( سانشو ) في سخرية :  
— هذا مستحيل أيها الشيطان ، فلا يوجد دخول أو  
خروج من وكرنا — سوى طريقين ، إما عبر وادي الهلاك ،  
أو ( الطريق إلى الجميع ) ، ولن يمكنك التهام الأول ، لأن  
موقنا هذا يجعل رجالي يحملون بينك وبينه ، ثم إنك لن تنجح  
في عبور قوّة الموت ، وأنا أسيرك ، أما ( الطريق إلى  
الجميع ) ، فهو ممر صيق بين جبلين ، زرعت أرضه بالأفلام ،  
ويقوم على حراسه عشرة من رجالي بمدافعهم الرشاشة ، ولن  
يتمكنك اجتيازه أبداً .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— شكراً أيها الوغد .. لقد أخبرتني ما كان ينقصني من  
معلومات .

عقد ( سانشو ) حاجبها في دهشة وغضب ، في حين هفت  
( منى ) :

— ماذا تعني يا ( أدهم ) ؟ .. هل ستذهب إلى .. ؟  
جفّ الدم في عروقها ، حيناً فاطعها ، قائلاً في هدوء :  
— ستخذل الطريق إلى الجميع يا عزيزي .  
هفت في توغر :

٥٨

واصمت ابصامه ، وهو يردف في حراسة :  
— سيق الشيطان المصري بين شقي الرّحمى .

\*\*\*

الصمت ( منى ) فؤة مسلّمها برأس ( سانشو ) ،  
لتجبره على التزام الصمت ، في حين اعطى ( أدهم ) خلف  
أكمة متشابكة الأغصان ، يتطلّع في تركيز واهتمام إلى الممر ،  
الذي يطلق عليه ذئاب الجبال اسم ( الطريق إلى الجمجم ) ..  
وحضت دقيقة كاملة ، قبل أن يلتفت ( أدهم ) إلى  
( منى ) ، ويقول :

— إنهم عشرة رجال بالفعل ، يخفون خلف دروع من  
الخشب السميك ، مثل تلك التي أقام منها الوغد كوخه .  
غمغم ( سانشو ) في سخط :  
— لن يمكنك عبور ( الطريق إلى الجمجم ) إلا بحة هامة  
أشار إليه ( أدهم ) بيده ، وقال في صرامة :  
— اصمت أيها الوغد .

ثم قال لـ ( منى ) :  
— ينبغي أن تجد خطة للعبور بسرعة يا ( منى ) ، وإلا  
أصبحنا محاصرين بين رجال ( سانشو ) ، وهؤلاء الذين  
يقومون على حراسة الممر .

٦١

غمزت الشمس منطقة جبال ( الإنديز ) بضوئها ،  
وحرارها ، في منتصف النهار ، وجفّ الرجال عرقهم  
الغزير ، وزغروا في تعب وتوكل ، قبل أن يلتفت أحدهم إلى  
( جارسيا ) ، ويسأله في قلق :  
— هل أنت والتقى أن الشيطان المصري ، سيخذّ ذلك  
الطريق يا ( جارسيا ) ؟

أوماً ( جارسيا ) برأسه إيجاباً ، وقال :  
— لن يكون أمامه سوى ذلك ، فلقد هرب في أثناء قتالنا  
مع قطع الذئاب ، وكنا نحن والذئاب نسد عليه الطريق المؤدّي  
إلى وادى الهلاك ، فليس أمامه إذن إلا اتخاذ ( الطريق إلى  
الجمجم ) .

مط الرجل شفتيه ، وغمغم :  
— يبدو أنه لا يعلم ما ينتظره هناك  
اجسم ( جارسيا ) في ثقة ، وقال :  
— إنه الجمجم بعينه يا رجل ، سيظهر رجالنا عند الممر ،  
بعد أن أبلغناهم لاسلكياً ، وسنطبق نحن عليه من الخلف ،  
وننفيه وراحاتنا .

٦٢



الصمت ( منى ) فؤة مسلّمها برأس ( سانشو ) ،  
لتجبره على التزام الصمت ..

٦٣

ماك ( منى ) في قلق .  
— هل لديك خطة معينة ؟  
عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وغمغم في تفكير :  
— لاأبد من وجود منفذ ما يا ( منى ) ، فمن المستحيل  
أن

ير حارته فجأة ، وتألّقت عيناه في فؤة ، ثم جذب إليه  
( سانشو ) في جذّة مباحة ، وقال في صرامة :  
— لاأبد أن هناك وسيلة ما لعبور الممر ، وتفادى الألغام  
أيها الوغد ، كما يحدث في المناطق الملوّعة في أثناء الحروب ،  
وإلا لما تكن ذئاب الجبال أنفسهم من اجتياز هذا الطريق  
توجد خريطة للألغام ، أليس كذلك ؟

جفّ لعاب ( سانشو ) أمام صرامة ( أدهم ) اغتيفة ،  
ولكنه أجبر نفسه على الانصاف في سحرية ، وهو يقول :  
— ينبغي أن تتخلص من حراس الممر أولاً أيها الشيطان  
غمغمت ( منى ) :

— وسريفاً ، قبل أن يطبق علينا رجال ( سانشو ) من  
الجانب الآخر

عاد ( أدهم ) يعتقد حاجبيه مفكراً ، ثم قال في فجأة حافة  
حارمة :



— هناك وسيلة وحيدة لإنهاء الأمر بسرعة يا (منى) ..  
وصوب مدفعه الرشاش في هدوء إلى التحصينات الخشبية  
السميكة ، التي يغطي خلفها رجال (سانشو) ، ولعل أنه  
يضغط الزناد ، ارتفع زفير قوي ، التفت الجميع إلى مصدره  
في حركة حاذئة ، فطالعهم حيوان ضخم ، يشبه الهر في  
مظهره ، والمهد في حجمه ، وكان يتطلع إليهم في تحفز ،  
وأنيابه الحادة الطويلة تنعكس مع ضوء الشمس ..  
كان همه (أسد الجبال) ..

★ ★ ★

صغمت (منى) في توثر ، وهي تحذق في الوحش  
المفترس ، الذي يتحفر للانقضاض عليهم :  
— أطلق النار عليه يا (أدهم) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في هدوء :  
— من الخطأ أن أعلن عن وجودنا بإطلاق الرصاص  
يا (منى) ، وإلا ضاع منا عنصر المفاجأة .  
قال هذا واسلّ عنقه حذائه ، وشهره في وجه  
أسد الجبال ، فغمغم (سانشو) في مرجع من الحق والذهول :  
— ماذا سيفعل ؟ .. هل سيقا تل أسدا جليلا بمنجبر ؟

٩٤

ولفجأة ، ومع آخر حروف كلماته وثب الأسد الجبل ،  
وانقض على خصمه ، ورفع (أدهم) خنجره في وجهه ، ثم  
اشتبك مع الأسد في قتال عنيف ..  
كان أسد الجبال شرسا قويا ، يحاول تخريب خصمه بمخالبه  
الحادة ، أو غرس أنيابه الطويلة في عنقه ، ولكن (أدهم)  
غرس خنجره في معدة الأسد الجبل ، بكل ما يملك من قوة ،  
ودفع نصله إلى أعلى ، فشتت بطن الأسد ، الذي زأر في ألم  
وخضب ، ومزق سرة (أدهم) بمخالبه ، وحاول معاودة  
الهجوم ، عن الرغم من أحواله المتدلية ، ولكن (أدهم) لم  
يمنعه فرصة ثانية ، فقفز فوق ظهره ، وأغمد خنجره في عنقه ،  
ودبحه كالنجاج ..

كان المشهد مذهلا بالنسبة لـ (سانشو) ، ولكنه شعر أنها  
فرصة مثالية للفرار ، وإنذار رجاله ، فدفع (منى) لفجأة ،  
برفقه ، وانطلق يمدح نحو الممر ، وهو يصرخ في انفعال :  
— النجدة يا رجال !! أنا زعيمكم .. أنا (سانشو) ..  
اقتلوا الشيطان المصري .. وكأنها كانت صرخته لهذا ألبده  
تراشق النيران ، فقد أطلق الرجال العشرة ، انهمون خلف  
السواتر الخشبية السميكة ، نيران مدافعهم الرشاشة ، نحو  
المنطقة التي يختبئ فيها (أدهم) و (منى) ..

★ ★ ★

٩٥

(م) — رجل المستحيل — ثلاث ودماء (٥٣)

وارتفعت صرخة أحد الحراس ، وسقط من مكانه  
مجدلا ، وبمه لآن ، وثالث ، فصاحت (منى) في دهشة :  
— كيف أمكنت إصابتهم خلف السواتر الخشبية  
السميكة ؟

ابتسم ، وهو يقول في هدوء :

— نفس المبدأ يا عزيزي .. عدة رصاصات في الثقب  
ذاته .

سقطت فكها السفلى في ذهول ، وهي تبهت :

— ولكن هذا ، هذا مستحيل .

هز كتفيه في لامبالاة ، وعاد يطلق رصاصاته بتلك الدقة  
المنمطة ، التي جعلت (سانشو) يصرخ في ذهول :  
— هذا مستحيل !! تلك الألواح اسلك من أن تخترقها  
رصاصات مدفع رشاش .

هتف أحد رجاله الخمسة الباقين في ذعر :

— ولكن هذا الشيطان فعلها . لقد أسقط نصفنا في خمس  
دقائق .

عقد (سانشو) حاجبيه في غضب ، وقال :

— فلندهب الألواح ورصاصات المدافع الرشاشة إلى

٩٧

تاهت أصوات الرصاصات إلى مسامع (جارسيا)  
ورجاله ، لصاح في انفعال :

— أسرعوا يا رجال ، لقد بدأ القتال في الطريق إلى  
البحيم ، ونست أحب أن نضع لحظة واحدة منه .

لنأر (أدهم) و (منى) ، فقد احصيا خلف جذع شجرة  
كبيرة ، في الوقت الذي انهالت فيه رصاصات حراس الممر  
كالطر ، وهبت (منى) :

— هذا الخنزير أفسد الخطة كلها .

أجابها (أدهم) في هدوء ، وهو يكتس النظر إلى الممر .

— لم يضع كل شيء بعد يا (منى) .

ثم أورد في اهتمام :

— إنهم عشرة رجال ، وكل منهم يختبئ خلف حاجز من

الأواح الخشب السميكة ، ويطلق النار عبر قلب خاص في  
الألواح ، ولكن ..

ضاعت عيناه ، وهو يحذق في الألواح الخشبية باهتمام ، ثم

ابتسم في هدوء ، وغمغم :

— أعتقد أن هؤلاء الحراس سيتلقون مفاجأة مذهلة

يا عزيزي ..

وفي هدوء ، صوب مدفعه الرشاش ، وأطلقه ..

٩٦

## ٩ - ممر الموت ..

انفجرت القنابل الخمسة في هوى هائل ، لم يلبث أن تحولت إلى مكرون رهيب ، لم يقطع إلا صوت (سانشو) ، وهو يهمهم :

— هل .. هل انتى كل شيء ؟

ثم أحد رجاله في خيرة :

— لقد كان يطلق الرصاص حتى اللحظة الأخيرة ، ولن يمكنه الفرار و .

بهر الرجل عبارته في عطوت ، وكأنها يعجزه الشك عن إتمامها ، فهتف (سانشو) :

— دعونا نرى يا رجال .. لن أتق في مصرع هذا الشيطان ، ما لم أر أشلاءه بنفسى ..

تقدم الرجال الخمسة في حلو ، وهم يشهرون مدافعهم الرشاشة ، وتجههم (سانشو) وهو يقدم رجلاً ، ويؤخر أخرى ، حتى أصبحوا عند المنطقة المنفجرة ، فبحقوا أرجالها باهتمام ولقى ، قبل أن يهمهم أحدهم :

— لقد تلاصقا .. لا يوجد أدنى أثر لهما .. هل نسلهما الانفجار تمامًا ؟

٦٩

الجحيم .. متدسف هذا الشيطان نسفاً .. سفعوه بالقنابل اليدوية .

تحلى الرجال الخمسة من سواتهم الخشبية ، وأسرعوا إلى كهف صغير ، انزعوا منه صندوقاً خشبياً ، يحلّق بالقنابل اليدوية ، وحل كل منهم قبلة ، وهتف بهم (سانشو) :

— ألقوا قنابلكم يا رجال .. أريد أن أجمع بقايا هذا الشيطان المصرى بملقط صغير .

وألقى الرجال الخمسة قنابلهم في صائح سقن ، وتحولت المنطقة التي يحضن فيها (أدهم) و (منى) إلى أشلاء ..

★ ★ ★



٦٨

صاح آخر في لفة :

— لقد عثرت على المدفع الرشاش .

أسرع (سانشو) ، والرجال الأربعة الآخرون إليه ، واختطف (سانشو) للمدفع الرشاش في لفة ، وهتف في ظفر : هذا دليل كاف .. لقد قتلتهما الانفجار .

أشار أحد رجاله إلى خيط من النابول ، يتدلّى من زناد المدفع الرشاش ، وسأله في خيرة :

— ما هذا ؟

استبست عينا (سانشو) في مزيج من الذعر والدمعة ، وهو يحدّق في الخيط ، وهتف في رعب :

— يا للشيطان !! .. إنها نفس الحديقة القديمة ، لقد كان يطلق المدفع الرشاش من بعيد .. إنه .. إنه .

قاطعه صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول : — إننى لم أمت .. هذا صحيح أيها الوغد .

★ ★ ★

استدار (سانشو) ورجال الخمسة إلى مصدر الصوت ، لظالمهم وجه (أدهم) الساخر ، ووجه (منى) الصارم ، وهما يصويان إليهم مدفعين رشاشين ، فاستقرن وجه (سانشو) خفياً ، وهو يقول :

٧٠

— أى شيطان أنت ؟

هزّ (أدهم) كفيه في استهزاء ، وقال :

— أنت صاحب فكرة إلقاء القنابل أيها الوغد ، وكل ما فعلته أنا هو حسن استغلال خطئك أنت .

ثم اتبسم في سخرية ، وأردف :

— لقد كنتم تسدون الممر الوحيد ، الذى يقودنا إلى الحرية ، ولقد أردت إبدال الأدوار ، وهأنتم أولاء تقفون وسط الأدغال ، في حين تسيطر أنا وزميلتى على مدخل الممر .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (سانشو) فجأة :

— صوبوا أسلحتكم إليه يا رجال .

رفع الخمسة فوهات مدافعهم الرشاشة في سرعة نحو (أدهم) و (منى) ، ولكن أيضاً من رصاصات مدفع (أدهم) الرشاش ، ألقى المدافع الرشاشة الخمسة بعيداً ، وجعل أصحابها يراجمون في دعر وذهول ، قبل أن يحط هو شفته ، ويقول متكهماً :

— ماذا أصابك أيها الوغد ؟ .. حتى الحمار يتعلم بالتجربة والحظ .

عاد وجه (سانشو) يحسّن في غضب ، في حين استطرد (أدهم) في صرامة ، وهو يشير إليه ، وإلى رجاله :

٧١

— هيا آيا الأوغاد .. مستعدونا عبر الطريق إلى الجحيم ،  
فأنتم تعرفون الطريق الآمن من الألفام .  
تردد الرجال الخمسة لحظة ، ولكن صياحة صاروخ من  
( أدهم ) جعلتهم يتقدمون في راسي الأذرع ، وخلفهم  
( سانشو ) ، الذي غمغم في خفق :  
— مازال الطريق أمامك طويلاً أنها الشيطان .. إنك لم  
تتصر بعد .

اجسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :  
— تقدّم في صمت ، وإلا أطلقت النار على مؤخرتك آيا  
الخبر .

وفجأة دُزى صوت طلقات نارية ، على بعد نصف  
كيلو متر خلف ( أدهم ) ، وارتفع صوت عبر مكبر صوت  
يقول :

— اصعدوا يا رفاق ، نحن في الطريق إليكم .. هنا  
( جارسيا ) عن رأس طريق المطاردة .. أكثّر .. نحن في الطريق  
إليكم .

ألصقت الكلمات نفس ( سانشو ) ، وودّعت إليه أبل  
التصر ، فلفز نحو ( أدهم ) في وحشية ، ريقو يهيف :



— أدهم فقد أصبل انفصاه ( سانشو ) بكلمة  
ساحقة واحدة عن طريقه

— اجمعوا يا رجال ، لقد وصل ( جارسيا ) .

وانقض الرجال الخمسة على ( أدهم ) و ( سني ) ..

\*\*\*

على الرغم من مفاجأة الانقضاض ، إلا أن القنريات  
المكثفة ، التي يتلقاها رجال المخابرات ، تجعلهم قادرين على  
الاستجابة السريعة ، مهما بلغت شدة المفاجأة ..

ولقد تحرّكت ( سني ) في سرعة ، فأطلقت رصاصات  
مدفعها الرشاش على أقرب المهاجمين إليها ، قبل أن يطيح الثاني  
ببلاحتها ، ويطلقها بذراعيه في قوّة ، أما ( أدهم ) فقد  
استغل الانقضاض ( سانشو ) بكلمة ساحقة ، أذاعه عن  
طريقه ، ثم انحنى بملأى كفة رجل آخر ، ولفز فجاءوا لكفة  
ثان ، ودار حول نفسه في الهواء .. وركل وجه أحد الرجال ،  
ثم هبط على قدميه ، وحطم أنف الثاني ، وهشم فك الثالث  
بلكمته متعاليين ، أودعها كل قوته وإصراره ، في حين  
غاصت ( سني ) بمرفقها في معدة الرابع ، وأحنت رأسها  
لسمح لقبضة ( أدهم ) بكسر أسنانه ، وضمّه إلى رفاقه ،  
الذين سقطوا فاقدى الوصي ..

وعلى الرغم من ضخامة جسد ( سانشو ) ، إلا أن

( أدهم ) التزمه من سقطته بذراع فولاذية ، وأجبره على  
الوقوف ، وهو يقول في صرامة وغضب :

— لقد أصبحت لدينا الوحيد آيا الشر ، وستقودنا عبر  
الطريق إلى الجحيم ، وإلا قطعت أطرافك قطعة قطعة .  
قال هذا ، ودفع ( سانشو ) أمامه في قوّة إلى بداية المعركة ،  
فهمل زعيم الذئاب في خفق :

— لا تحاول .. لن أصبح لك بالفرار أبداً .

دفعه ( أدهم ) في قوّة ، وقال :

— حسناً .. سأجبرك على عبور الممر ، وسنكتفي بتج  
خطواتك .

كانت دفعات ( أدهم ) القوية تجبر ( سانشو ) على الخنسي  
عبر الممر ، وكان يلفز إلى النفاط التي لا تحصى الغامّة ، خوفاً  
من أن يخطئ خطوة واحدة ، فيمحزّل إلى أضواء متناثرة ،  
وكان ( أدهم ) و ( سني ) يتبعان خطواته في حذر ، حتى عاد  
صوت ( جارسيا ) يرتفع .. عبر مكبر الصوت :

— منتظم إليكم بعد لحظات يا رفاق .. اصعدوا .

وغمغم ( سانشو ) في توكر :

— سيطلقون بنا قبل أن نعبّر الممر ، وسيطلقون النار  
عليكما بلا رحمة .



أوقفه ( أدهم ) فجأة في حدة ، وانفتحت إلى ( منى ) ،  
للقلا .

— صوّى معدتك إلى رأس هذا الخنزير يا ( منى ) ،  
وأطلق النار بلا رحمة ، إذا ما بدت منه أية محاولة للفرار .  
صوّت ( منى ) مسدسها إلى رأس ( سانشو ) ، وسألت  
( أدهم ) في قلق :

— ماذا تنوي أن تفعل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— تقدّمي أنت عبر الممرّ يا ( منى ) ، وسأحاول أنا إيقاف  
القادمين .

حدثت تسأله في عناد وقلق :

— ولكن كيف ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

— سأنتظر وصولهم إلى الممرّ ، ثم أطلق النار على الأنعام  
المدفونة فيه ..

وابهم في سخرية ، وهو يردف :

— سأقلب وسألقمهم الدفاعية على رؤوسهم كالعادة  
يا خنزيري .

★ ★ ★

٧٦

تحرك ( سانشو ) عبر الممرّ في حلق ، و ( منى ) تبع  
خطواته ، ومسدسها مصوّب إلى رأسه ، وغمغم هو في  
سخط .

— لن ينجح زميلك أبداً الفاع

عقدت ( منى ) حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— لقد أصبح فورك هذا مكرّراً سخيفاً أبداً الخنزير .

قال ( سانشو ) في هدوء أدهشها :

— هل تعلمين أن ذخيرة مدفعه الرشاش قد قاربت على

النفاذ ؟ .. وأنه لا يملك ذخيرة إضافية ؟

أجابته في حدة .

— لا بدع هذا يشعلك ، سيلغى ( أدهم ) النظام الآلي

للمدفع الرشاش ، وسيحوّله إلى بندقية ، تطلق رصاصاتها

واحدة بعد الأخرى ، وستكون لديه — حينئذ — عشر

رصاصات ، وهي تكفيه .

غمغم ( سانشو ) في صوت أقرب إلى السخرية :

— إنها لن تكفيه .

قالت في غلظة :

— تذكر أن كل واحدة منها ستحوّل إلى قنبلة ، حينما

تصيب اللغم .

٧٧

## ١٠ — الانفجار ..

كان ( أدهم ) يتوقع انفجاراً قريباً ، حينما أطلق رصاصته  
الأولى نحو النقطة ، التي توقّع وجود اللغم فيها ، ولكن  
الرصاصة لم تسفر إلا عن دويّ متردد في أنحاء الممرّ ، وصوت  
أرطام معدني بسطح اللغم ، وإعلان عن وجود ( أدهم ) ..  
وقفز ( جارسيا ) مخفياً خلف أحد الصخور .. وصاح في  
رجاله :

— اختبئوا يا رجال ، وأطلقوا النار ، لقد نجح الشيطان  
في إحصال الطريق إلى الجحيم .

أخذ الذئاب يطلقون رصاصاتهم نحو الصخرة التي يحمي  
خللها ( أدهم ) ، في حين غمغم هو في سخط :

— اللعنة !! هذه الأنعام لن تنفجر بإطلاق رصاصاتي .

ثم استطرد في حلق :

— يا له من موقف !! أقل من عشر رصاصات في مواجهة

خمسين رجلاً ، وفي منطقة منبسطة ، يصعب المدور فيها ، دون

أن يصاب المرء بعشر رصاصات على الأقل .

كان صوت الرصاصات التي ترتطم بالصخرة ، التي يحمي

٧٩

أطلق ( سانشو ) مدحكة ساخرة خافتة ، وقال :

— هذا ما أريد قوله يا فتاتي ، فلك الأنعام لن تنفجر إذا

ما أطلق عليها النار ، إنها معدة للانفجار تحت تأثير النقل المباشر  
فحسب .

توقّفت ( منى ) بضّة ، وحسب وجهها في توقّر ، وهي

تغمغم في جزع :

— يا إلهي !! .. ( أدهم ) .

وفي نفس اللحظة التي نطقت فيها بماربها المتعانة ، كان  
( أدهم ) مصوّب سلاحه إلى أحد الأماكن ، التي تماشاها  
( سانشو ) ، وينظر حتى تعبر ذئاب الجبال ، ثم يطلق النار ..

★ ★ ★



٧٨

خلفها ، غريباً مزعجاً ، ولكنه استرخى في هدوء ، وهو يقول لنفسه :

— أهي النهاية يا ( أدهم ) ، .. أم أنه هناك وسيلة للفرار ؟

وفجأة تألفت عيناه ، وهبط في الفخار :

— بالطبع هناك وسيلة للفرار .

وأطلق عليه في قوة ، وهو يحاول استعادة مشهد ما في

ذاكرته ، ثم انبسم في سخرية ، وقال :

— سيحدث الانفجار ، حتى وإن رفضت الألفام أيما

الأوغاد .

ثم برز من خلف الصخرة فجأة ، وأطلق كل الرصاصات

الباقية في مدلهه الرخاش ، نحو نقطة واحدة ، حادثة ذاكرته

مسبقاً ..

\*\*\*

كانت براعة نافذة من ( أدهم ) ، أن يختار هذا الهدف

بالمذاق ..

لقد استادت ذاكرته مشهد حُرَّاس الممر الخمسة : وهم

يخرجون الصندوق الخشبي ، المعلق بالقابيل اليدوية ، من

الكهف الصغير ، واختار هذا الصندوق هدفًا لرصاصاته ..

٨٠

وأصاب الرصاصات هدفها في براعة ، وانفجرت القنابل اليدوية ..

انفجرت الفجائر هائلًا ، ترَّدَّد صدها في جبال ( الإنديز )

كلها ، وأبهارت له الصخور من جيات الممر ، ولم تكذب تساقط

فريق الألفام المزروعة في باطنه ، حتى انفجرت بدورها ،

واستحق الممر عن جدارة اسم ( الطريق إلى الجحيم ) .

وتصلبت ( مبي ) مع دوى الانفجار الهائل ، وارتجفت

أطرافها ، وهي تبتف في جوع .

— ربَّاه !! .. ( أدهم ) ؟ !

وفجأة انقضَّ ( سانشو ) بجسده الضخم على جسدها

الضئيل ، وأطاح بجسدها بضربة قوية عيفة ..

حاولت ( مبي ) أن تقاومه في شراسة ، ولكن قوتها لم تكن

تساوي شيئًا أمام عضلات ( سانشو ) المقتولة ، وجسده

الضخم ، وقوته ..

لقد لطمها زعيم الذئاب في قسوة بالغة .. ودفعها لترطم

بالصخور ، ثم قفر والنقط مسدسها ، وصوبه إليها ، وهو يبتف

في وحشية :

— لقد خسرت أيتها المصرية .

٨١

( ٦٢ — رجل المسجل — ذئاب وحماء ( ٥٣ ) )

هبزت ( مبي ) في صعوبة ، وهي تشرع بآلام رهيبة في

جسدها ، من أثر ارتطامها بالصخور ، وقالت في خفق .

— هذا الانفجار يؤكد أن ( أدهم ) قد نجح .

ابتسم ( سانشو ) في سخرية وشراسة ، وهو يقول :

— هذا الانفجار الهائل ، يؤكد أن نصف الممر الذي عبرناه

قد تحول إلى فئات صخور ، وأن الجميع قد لقوا حتفهم ، حتى

شيطانك المصري .

هتف في الخيزاز :

— ألا يتحىك مصرع رجالك ؟

لوح بذراعه في خفق ، وهو يقول في خشونة :

— فلماذا الجميع إلى الجحيم .. المهم أن أبقي أنا .

ثم رفع مسدسه إلى رأسها ، وهو يردف في وحشية :

— أنا فقط .. وداغا أيتها المصرية .

\*\*\*

بدا المشهد في اللحظة التالية كالمعجزة ، فقد برز ( أدهم )

فجأة ، وانقضَّ على ( سانشو ) كقنصل يلب على فريسه ،

وركل مسدس ( سانشو ) في مهارة ، ورشاقة ، وسرعة ، ثم

خاص بقبضته في معدته ، وهوى بقبضته الأخرى على فك

٨٣



ودفعها لترطم بالصخور ، ثم قفر والنقط مسدسها ،

وصوبه إليها ..

(سانشو) ، الذى تركب من فرط ألمه وذهره ، وسقط أرضاً  
جاءت الميبن ، وهتف فى رعب هائل ، وهو يتطلع إلى  
(أدهم) :

— هذا مستحيل !! أنت لست بشراً .. هذا مستحيل !!  
أسرعت (منى) إلى (أدهم) ، وهى تهتف فى مرح :  
(أدهم) .. حدثنا على سلامتِكَ .. لقد أصبحت أخيه  
علاكى الحارس .

ابسم فى حنان ، وهو يربّت على شعرها ، قتلأ .  
— إنها أول مرة يتخاطب فيها أحد بخلاف لفظ الشيطان ،  
الذى أمفته تماماً يا عزيزى .

ثم انحنى فى هدوء ، والقط المسلس ، وصوّبه إلى  
(سانشو) ، وهو يقول فى صرامة :  
— هيا أيا الرغد .. مازال الطريق أمامنا طويلاً .

كانت التصاروت (أدهم) الموالية المدحلة ، ولجائه من  
أهوال ضيق ، يخيب لها الولدان ، قد حطمت (سانشو) ،  
وأهكت جسده ومعنوياته ، حتى أنه بدأ كعجوز متهالك ،  
وهو يغمغم فى ضراعة :

— الرحمة يا منور (أدهم) !! اتركى أرجوت ..  
سأوصلك إلى نهاية المر ، ونفترق .

قال (أدهم) فى برود :  
— لن نفترق إلا فى السفارة المصرية أيا الحقير  
ثم أردف فى صرامة :  
— لقد وعدت السفير . وسأحقق وعدى له ، مهما كان  
الظمن .

\*\*\*

تطلع (جارسيا) فى ألم ، وذهره ، إلى ما يقى من الطريق  
إلى الجحيم ، بعد هدوء الموقف ، وهتف فى حنى :  
— يا للشيطان !! .. لقد انهار المر تماماً .

ثم التفت إلى أحد التاجين من رجاله ، وسأله فى ضيق :  
— كم يقى منا ؟

أجابته الرجل فيما يشبه الانهيار :

— أنا وأنت ورجلان فقط يا (جارسيا) .. لقد حطم ذلك  
الشيطان المصرى كل شيء . ليست منظمة (ذئاب الجبال) .

عنى (جارسيا) شغته السفلى فى ألم ، وقال :  
— سيدفع الظمن .

ثم عاد يسأل الرجل فى تولر :

— ترى هل لقي مصرعه أختنا مع الانفجار ؟

هزّ الرجل رأسه نفياً ، وقال :

— لا يا (جارسيا) ، لقد رأيته يقفز فوق الصخور ،  
ويعود كالشيطان ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار .

زفر (جارسيا) فى غضب ، وهو يردّد :  
— سيدفع الظمن .

غمغم الرجل فى تردّد :  
— إنما أربعة رجال فحسب يا (جارسيا) ، وأحدنا

مصاب بجرح فى ذراعه .

صاح (جارسيا) فى جنون :

— سأواصل المطاردة ، حتى وإن بقيت وحدى أيا  
الرجل .

ثم استطرد فى وحشية :

— لن يحصل هذا الشيطان أبداً لقب الرجل الذى هزم  
(ذئاب الجبال) .

\*\*\*

اجتاز (أدهم) و (منى) و (سانشو) الطريق إلى  
الجحيم ، وأسرعوا البطا ، فى محاولة للوصول إلى سفح  
الجبل ، قبل حلول الظلام ، وقال (سانشو) فى ضراعة :

\*\*\*



موقف عصيب آخر في هذه المهمة المقدسة ..

أربعة رجال يطلقون مدافعهم الرشاشة في شرارة ،  
( أدهم ) لا يملك إلا مسدسًا واحدًا ، يحمل خمس  
رصاصة فقط ، والطريق الممهّد على بعد أمتار قليلة ..  
ولكن إصرار ( أدهم ) وإرادته كانا أقوى من رصاصات  
المدافع الرشاشة ..

لقد دفع ( سانشو ) أمامه في عنف وعشوة ، وهو يقول  
في صرامة :

— ضع كل قوتك في قديمك أيها الخنزير ، وحاول أن تعدر  
بكل ما تملك من قوة ، وإلا أفرغت رصاصات مدفعي الرشاش  
في رأسك .

دفع الخوف ( سانشو ) إلى القذو ، بكل ما يملك من قوة ،  
وعطفه ( أدهم ) و ( منى ) ، ورصاصات المدافع الرشاشة  
تهبهم كالطير ، و ( جارسيا ) يصرخ في جنون :

— لا تركوه يهرب .. أريقوا دماء عند سفح الجبل  
ولكن ( أدهم ) ورفيقه وصلوا إلى سفح الجبل ، حيث

يمتد الطريق الممهّد ، وتلفتت ( منى ) حولها في ذهول ،  
وهي تقول :

— لا توجد سيارة واحدة هنا .

صاح بها ( أدهم ) :

— استمري في القذو يا ( منى ) .. كل دقيقة نضيّمها نجعل  
هؤلاء الأوغاد أقرب .

لم يكن من الممكن أن يضيع ( سانشو ) الفرصة الأخيرة  
لنجاته بهذه البساطة ، لذا فقد تظاهر بالتعب ، وألقى جسده  
أرضًا ، وهو يصرخ بألم مصطنع :

— لقد التوى كاحل .. لن يمكنني المواصلة

جذبه ( أدهم ) في عنف ، وهو يقول في صرامة :

— امشي أيها المخادع ، سواصل القذو ، ولو يساق  
خشية .

ولكن رغبة ( سانشو ) في النجاة من حيل المشقة ، كانت  
تفوق رغبة ( أدهم ) في الوصول به إلى السفارة المصرية ، ولقد  
دفعته رغبته في البقاء إلى الانقضاض على ( أدهم ) بغتة ،  
والقبض على معصم اليد ، التي تمسك بالمسدس ، وهو يصرخ  
في أمل أخير :

— إني يا رجال إني يا ذئاب الجبال !!

\*\*\*

أجابها في صرامة :

— سأعسر كل ما فعلت ، لو أنني تركته .

لم يكذبهم عبارته ، حتى برزت سيارة في الطريق ، تتطرق  
نحو ( إيما ) ، فلوح ( أدهم ) لقاتلها بيده ، هاتفاً :

— لو توقف هذا الرجل ، فسبكت النجاح لعمليتنا .

كان من المنطقي ألا يتوقف قائد السيارة ، وهو يرى  
( أدهم ) في لباس الصاعقة الممزقة ، وهو يحمل على كتفيه  
جسد رجل ضخم ، في زى عمالي ، ويلوح بكفه التي تحمل  
المسدس ، ولكن مشهد ( منى ) بجسدها الضئيل ، وذلك  
الزنج من الإرهاق والذهر ، الرسمين على وجهها ، جعله  
يضغط كاحه سيارته ، ويوقفها إلى جوارهم غامًا ، وهو يسأل  
في اهتمام وقلق :

— ماذا أصابكم ؟

لم يكذب الرجل يوم عبارته حتى كان ( أدهم ) قد فتح باب  
السيارة الخلفي ، وألقى جسده ( سانشو ) داخله ، ودفع  
( منى ) إلى جواره ، ثم قال لقائد السيارة في هجة حادة ، تشف  
عن خطورة الموقف :

— لن يمكنني تفسير الأمر الآن ، ولكنني أؤكد لك أننا

تلتهم غضب ( أدهم ) هادئًا ، مع القضاة ( سانشو ) ،  
في وسط هذه الظروف المقدسة ، وتحوّل غضبه إلى لكمة  
ساحقة ، حطمت فك ( سانشو ) .. وكسرت نصف صف  
أسنانه الأمامية ، وتركه ( أدهم ) يسقط أرضًا ، واستدار في  
سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، اخترقت رأس  
أحد الذئاب الأربعة ، الذين يطاردونه في شرارة ، وقفز  
مضاميا سيل رصاصات المدفع الرشاش ، التي انبالت عليه ،  
وأطلق رصاصة أخرى ، سقط بعدها الذئب الثاني مجثداً ،  
قفز ( جارسيا ) ، والرجل الباقى معه خلف الصخور ، وهتف  
( جارسيا ) في غضب :

— هذا الشيطان اللعين كالقدر .. لا تعطش رصاصاته

أبداً .

لم تصل هذه العبارة إلى مسامع ( أدهم ) ، الذي اغنى  
يحمل جسده ( سانشو ) الضخم على كتفيه ، وهو يقول في  
حدة :

— علم يا ( منى ) .. سيمجد عن هنا بقدر الإمكان .

هتفت ( منى ) في حقل ، وهي تعبر إلى جواره :

— ألي هذا الحمل القلبي عن كفتيك .. إنه يوق فرارنا

في الجانب الخلف من الحياة ، وأن نجانبها جميعاً نحمد على أن نترك  
في قيادة السيارة

شيء ما في كلمات ( أدهم ) ، أو مظهره ، أو أسلوبه ،  
جعل الرجل يتنازل عن مقعد القيادة فوراً ، ويقفز إلى المقعد  
الجانبي ، ويتطلع إلى ( أدهم ) في دهشة ، وهو يقفز خلف  
عجلة القيادة ، ويطلق بالسيارة في مهارة تستحق الإعجاب .  
وأياً ما كان هذا الشيء ، فلا ريب أن رصاصات المدفعين  
الرشاشين ، اللذين أطلقهما ( جارسيا ) وزعميه على السيارة ،  
كانت السبب الرئيسي لسرعة استجابة الرجل ودهشته ، وإن  
لم يمنعه هذا من أن يسأل ( أدهم ) في توتر :

— من أنتم ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجاب ( أدهم ) في هدوء :

— إنها قصة طويلة يا سيور .

هتف الرجل في عصبية :

— من حقي أن أعرفها ، مادامت سيارتي متشارك فيها

مط ( أدهم ) ضلعيه ، دون أن يجيب ، في حين غمغمت

( مني ) :

— هل يكفيتك أن تعلم ، أن هذا الخبرير المفاقد الوعي إلى

جراي ، هو ( سانشو ) ، زعيم ذئاب الجبال ؟

٩٣



وهو يرى ( أدهم ) في ثياب الصاعقة الممزقة ،

وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ..

يا ( جارسيا ) ، فقائدها كان ينوي الفرار ، حين رأى المدفعين  
الرشاشين في أيدينا ، ونحن نطلب منه التوقف .

غمغم ( جارسيا ) في سخط :

— هذا القبيح .. لقد كان يستحق رصاصتي ، التي اخترقت

رأسه .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يردف في سخرية مريرة :

— ولا أريد منك أن تبخل على ذلك الشيطان المصري

بالرصاصات ، حينما تتجاوز سيارتنا .. أريد منك أن تحوله إلى

فحات مسائر .

في نفس اللحظة كانت ( مني ) تقول لـ ( أدهم ) في توتر :

— سلاحقان بنا بسرعة يا ( أدهم ) ، فتوة سيارتهم تفوق

قوة سيارتنا كثيراً .

أجاب ( أدهم ) في صرامة .

— سيكون من سوء حظهما أن يتجعا .

لم تكذب عبارته تكتمل ، حتى جاورته سيارة ( جارسيا ) ،

وأصبحت تنطلق إلى يساره تماماً ، وهتف هذا الأخير في حراسة :

— أطلق النار يا ( ديمو ) .. حول هذا الشيطان المصري

إلى مصفاة .

٩٥

ضعب وجه الرجل ، وانكمش في مقعده ، وهو يغمغم في

رعب :

— ( سانشو ) ؟ .. هل .. هل أنتما من ذئاب الجبال

أيضاً ؟

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يقول :

— لا يا سيور .. لقد انهارت منظمة ذئاب الجبال ،

انهارت إلى الأبد .

أنا صوت ( مني ) ، يقول في اضطراب واضح :

— يبدو أن هذا سابق لأوانه يا ( أدهم ) ، فهناك سيارة

قوية تطاردنا ، وتطل من نافذتها ماسورة مدفع رشاش .

\*\*\*

ضبط ( جارسيا ) درّاسة الوقود في سيارته بقوة ، وهو

يقول في حراسة :

— من سوء حظك أن عبرت هذه السيارة القوية بعد

لحارات أيا الشيطان المصري ، إن سرعة سيارتك الصغيرة لن

تأفي سرعة هذه السيارة أبداً .

قال الرجل لجالسي إلى جواره في قلق :

— من حسن حظنا نحن أن نجعلنا في الاستيلاء عليها بسرعة

٩٤

ولي مرة ووحشية ، دفع ( رينو ) لوحة المدفع الرشاش نحو ( أدهم ) ، وصرخ في غضب وسادية :  
— الوداع أيها الشيطان .  
ودوى صوت الرصاص ، عند سفح الجبل ..

★ ★ ★

دوى صوت الرصاص بالفعل ، ولكنه لم يكن يطلق نحو ( أدهم ) .. وإنما كان انجابه عكسياً ..  
كان يطلق من مسلح ( أدهم ) ، إلى رأس ( دينو ) ، الذي جعلت عيناه ، وسقط المدفع الرشاش من يده ، وسقطت رأسه على صدره ، وسالت منها الدماء في غزارة ، واتسعت عينا ( جارسيا ) في ذهول ، وضغط كفاحه سيارة بحركة تلقائية ، وهو يهتف :  
— يا للشيطان !!

ثم امتلأت عروقه بدماء الغضب ، حينما تجاوزته سيارة ( أدهم ) ، وابتعدت في سرعة ، مسجلة هبوط مرعته المفاجئ ، فصرخ في جنون :  
— سيكون هذا آخر ذنب جبال تقطه أيها الشيطان المصري .

٩٦

ثم ضغط دواسة الوقود في قوة ، حتى تكادت قدمه تحترق أرض السيارة ، وانطلق كالصاروخ خلف سيارة ( أدهم ) ..  
ول نفس اللحظة استعاد ( سانشو ) وعيه ، وحلق فيما حوله بذهول ، وسمع ( منى ) تهتف :  
— سيلحق بنا مرة أخرى يا ( أدهم ) .. كم رصاصة بقيت معك ؟

أجابها ( أدهم ) في هدوء :

— رصاصة واحدة يا ( منى ) .

ترجمت في مقعدها ، وهي تغمغم في خوف :

— يا إلهي !!

قال ( أدهم ) في صرامة :

— ليس أمامنا سوى المواجهة يا ( منى ) .

ولي حركة سريعة ، دار بسيارته في مهارة مذهلة ، وانطلق صرير العجلات في قوة ، جعلت صاحب السيارة يصرخ في ذعر ، وقد خيل إليه أن السيارة ستقلب رأساً على عقب ، ولكن مهارة ( أدهم ) الخرافية جعلتها تنزف في إتقان ، ثم تدفع مرة أخرى في مواجهة سيارة ( جارسيا ) ، وهنف صاحب السيارة في رعب :

٩٧

## ١٢ — آخر الذئاب ..

كان ذلك الطريق ، عند سفح الجبل ، ضيقاً ، لا يسمح بالتناورة بين سيارتين ، وكانت المسافة بين مقدمتيهما تقل في سرعة تخلفة ، ولم يكن ( أدهم ) مستعداً لحسارة مركبه ، بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من النصر ، لذا فقد أدار يده في سرعة مذهلة ، ولطم وجه ( سانشو ) بمسدسه ، فألقى به على المقعد الخلفي ، ثم عاد يلفت إلى الامام ، وأطلق رصاصه الوحيدة من نافذة السيارة ، في نفس اللحظة التي هتف فيها ( جارسيا ) في ذهول :

— ماذا يفعل هذا الشيطان المجنون ، لو أنه ارتطم بسيارتي فأسحق سيارته نصفين ، ولن يجد الوقت لـ ..

بتر عبارته فجأة على الرغم منه ، فقد اخترقت رصاصة ( أدهم ) زجاج السيارة الأمامي ، واستقرت في رأسه ، فبحظ عيناه في ألم وذهول ، وفقدت طريق الحياة ، وتصلبت قبضته على عجلة القيادة ، وجدت قدمه على دواسة الوقود ، واستمرت السيارة في الدفاعها نحو سيارة ( أدهم ) ، بفوردها رجل قتل ..

وصرخت ( منى ) في رعب ، وتثبت صاحب السيارة

٩٨

— ماذا يفعل أيها المجنون ؟ .. مستحطم سيارتي إرتما ، إذا ما ارتطمت بهذه السيارة القوية .

أجابها ( أدهم ) في حزم ، وهو يواصل الدفاع المجنون نحو سيارة ( جارسيا ) :

— إنها رصاصة واحدة يا سيور ، وأنا لا أحب أن أترك أي احتمال للخطر .

حبست ( منى ) أنفاسها ، حينما علمت ما يتوهم ( أدهم ) ، واتسعت عينا ( سانشو ) في ذعر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب ، وهتف في أعماقه :

— لن أتركه يقتل ( جارسيا ) .. لن أترك هذا الشيطان يدمر آخر أمل لي ، ولذئاب الجبال .

ولي نفس اللحظة التي استعد فيها ( أدهم ) لإطلاق النار ، ولي الوقت الذي لم تعد المسافة بين السيارتين تسمح فيه بإضاعة لحظة واحدة ، تعلق ( سانشو ) بمنى ( أدهم ) ، وصرخ في جنون :

— لن أسمع لك هذه المرة أيها الشيطان .. لن أسمع لك .

★ ★ ★

٩٨



تقدمه في دهر ، واتسعت عينا (سانشو) في خوف ،  
وتجبدت الدماء في عروقه ، ورأى الموت يطل من مباردة تلميذه  
القتيل ( جارسيا ) ..

\*\*\*

مطُ السفير المصري شفيع في ضيق ، وهو يتطلع إلى الحقيقة  
الكبيرة ، التي تحتل بأوراق النقد الخضراء ، وسأل سكرتيره  
في حق واضح :

— هل تحوى الحقيقة على مليون دولار كاملة ؟

أجابته سكرتيره في ضيق مماثل :

— لا تنقص دولارا واحدا يا سيدي ، وستذهب كلها إلى

( سانشو ) .

عقد السفير حاجبيه ، وهو يقول :

— لم أكن أتصور هذه النهاية أبدا ، حينما وصل ذلك المقدم

وزميلته إلى هنا .

ثم ابتسم في مرارة ، وهو يستطرد :

— لقد اتفقتي فتنه بنفسه جدًّا في البداية .. تصور أنه

وعدني أن يجتو ( سانشو ) على ركبتيه هنا أمامي ، ويطلب مني

الرحمة .

١٠٠

١٠١

زفر السكرتير في ضيق ، وقال :

— ياله من وعد !! إنني أفتنى الآن ألا يطلب منا

( سانشو ) أن لجؤن نحن على الأرض ، ونصرع إليه أن يعيد

إلينا رجل القنارات وزميلته .

لم يكذب السكرتير يم عبارته ، حتى اتحم أحد رجال أمن

السفارة مكتب السفير ، وصاح في دهشة واضحة :

— سيدي .. لقد وصل ( سانشو ) .

رفع السفير حاجبيه في دهشة ، وغمغم في سخط :

— وما الذي يدهشك في ذلك ؟ دعه يأتي ويسلم نقرده .

هتف الرجل في خيرة :

— ولكن يا سيدي .....

قاطعها السفير في حق :

— ولكن ماذا ؟

وفجأة اتسعت عينا السفير في ذهول ، وتراجع سكرتيره

كالمصعوق ، حينما اندفع ( سانشو ) بحمده الضخم داخل

الحجرة ، و ( أدهم ) يسك عنقه في صرامة ، وخلفهما برزت

( منى ) ، وهى ابتسم في سعادة وظفر ..

وهتف السفير في فرح غامر :



جنا ( سانشو ) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،

وسكرتيره ..

— يا إلهي !! .. إنني لم أتصور حدوثك أبدا أنها المقدم

ولكن ( أدهم ) لم يجب عبارة السفير ، وإنما ضغط عنق

( سانشو ) في قوة ، وهو يقول بالأسانية في صرامة مخيلة :

— اجث على ركبتيك أيها الخنزير

جنا ( سانشو ) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،

وسكرتيره ، ورجل الأمن ، الذين تملكهم ذهول شديد ،

وغمغم زعيم الدئاب في ضراعة :

— الرحمة يا سيدي السفير !! الرحمة يا سيور !!

حذق السفير في وجه ( سانشو ) بذهول ، ثم رفع عينيه

إلى ( أدهم ) ، الذي نصب هامته ، وقال في صلابة :

— لقد حققت وعدى يا سيادة السفير ، وهذا الوعد

الراكع أمامك هو آخر ذئاب الجبال ، لقد منحى اسم هذه

المنظمة من تاريخ الإحرام إلى الأبد .

\*\*\*

أحاط رجال أمن السفارة - ( أدهم ) ، يبتون في انبهار

واعجاب ، ويسألونه أن يقص عليهم تفاصيل معركته مع ذئاب

الجبال ، ولكنه ابتسم في إرهاق ، وقال وهو يلوح بذراعيه في

هدوء :

١٠٢

— فيما بعد يا رجال .. فيما بعد .. فأنا لم أذق طعم اليوم  
 منذ ثلاثة أيام .  
 تقدمت إليه زوجة السفير بكوب من الليمون المثلج ، وهي  
 تقول بصمتة :  
 — اتركوه الآن يا رجال ، فلقد حقق المقدم ( أدهم )  
 معجزة ، بقضائه على أقوى منظمة إجرامية في ( بيرو ) .  
 هضت ( منى ) في سعادة :  
 — ولقد فعلها وحده ، ليحكم رأبهم ، وهو يصادى  
 السيارة الأخرى في براعة مذهلة ، قبل أن ترتطم بنا .  
 هز السفير رأسه في إعجاب ، وقال :  
 — لقد كنت أظن أن هذا لا يحدث إلا في الأفلام السينمائية  
 الأمريكية فقط .  
 وهف سكريره في انبهار :  
 — من قال هذا يا سيدي ؟ .. هل نسيت أن تقاريرنا  
 المصرية من أعظم أجهزة المخابرات في العالم .  
 تطلع إليه السفير في دهشة ، ثم ابتسم ، وقال :  
 — يبدو أن نجاحك قد يبدل الكثير من الآراء يا سيدي  
 ( أدهم ) .

والفد الجنيح في حماس ، ثم سأله زوجة السفير في اهتمام :  
 — ولكنك بذلت جهداً إضافياً لحمل ( سانشو ) إلى هنا  
 يا سيدي ( أدهم ) .. هل كان ذلك بسبب وعدك للسفير فقط ؟  
 صمت ( أدهم ) لحظة ، ثم قال :  
 — بل كان هناك سبب آخر يا سيدي .. فتحطم ذئاب  
 الجبال يفقد قوته ، ما لم يقتن بضعة إعلامية مناسبة ،  
 ولا توجد ضجة إعلامية أكبر من محاكمة زعيم ذئاب الجبال ،  
 وإعدامه .  
 ثم استورد في صرامة :  
 — بهذا فقط يعلم الجميع أن أمن مصر أسطر من أن يحاول  
 أى مخلوق المساس به .  
 صمت عبارته عواطف الجميع ، وانجلبت لها قلوبهم ،  
 وطمعهم السفير في حماس :  
 — لقد انتهت أعظم مهامك بالنجاح أيها المقدم ، وبحق لك  
 الشهور بالفخر الآن .  
 هز ( أدهم ) رأسه نفثاً ، وقال :  
 — لا سيدي .. لم تنته مهمتي بعد ، فما زال هناك وغد  
 لم يلق جزاءه بعد .

### ١٣ — الختام ..

صعد المفتش ( رود ) إلى منزله في خطوات سريعة ، ودس  
 مفتاحه في ثقب الباب ، وهو يغمغم في حق :  
 — تبا لـ ( سانشو ) ورجاله ، لقد اعتدت الإنفاق  
 بسخاء ، حينما كنت ألتقي رائباً شهرياً ضخماً منهم ، فماذا  
 أفعل الآن ، بعد أن سقط هو في قبضة الشرطة ، وتحطمت  
 منظمته كلها ؟  
 دفع باب منزله في جلبة ، وأغلقه خلفه في عصبية ، ثم أشعل  
 سيجارته ، ومز بهدوء بعض مدخل المنزل ، ولكن يده تسمرت  
 في مكانها ، وانسعت عيناه في ذعر ، وهو يحذق في الرجل الذي  
 يقف هادئاً في ركن المدخل ، وسلطت سيجارته من بين  
 شفتيه ، وهو يغمغم في خوف :  
 — من هناك ؟  
 تحرّك الرجل نحوه في برود ، وهو يقول :  
 — ألم تعرفني أيها الوجد ؟  
 أسرعت يد ( رود ) لتضيء المدخل ، ثم تراجع في رعب ،  
 وهو يحذق في وجه ( أدهم ) ، ويهتف في صوت مختق :  
 — يا للشيطان !! .. أنت ؟

سأله ( منى ) في دهشة :  
 — من تعنى يا ( أدهم ) ؟  
 أجابها في هدوء :  
 — المفتش ( رود ) .

\*\*\*



ثم لَوَّحَ بذراعيه في دُعرٍ ، وهو يهتف :

— لقد أمرني ( سانشو ) بذلك .. إني لم ..

أعمرسه ( أدهم ) بكلمة ساحقة على فكه ، أعقبها بأخرى هتخت أنه ، وثالثة غاصت في معدته ، سقط بعدها ( رود ) ، وهو يتأوّه في دُعرٍ والم ، فاعتدل ( أدهم ) ، وقال في برود وصرامة :

— لقد انتهت أيها الخائن الحقير .. لقد أرسلت إلى الشرطة كل ما يثبت تورطك مع ذئاب الجبال .. متدفع ثمن خيانتك غالباً . حاول ( رود ) إيقاف نزيف الدم الغزير من أنفه وأسانه المخطّمة ، وهو يقول في دُعرٍ :

— لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

قلب ( أدهم ) شقته في احتقار ، وقال :

— هذا جزء كل من يحاول المساس بأمن مصر .

ثم تجاوز ( رود ) في هدوء ، وغادر شقته ، وأغلق بابها خلفه ، ووصل إلى مسامحه لمحج الخائن — وهو يهبط في درجات السلم بهدوء — حتى وصل إلى الطريق ، فأنجبه في عطرات ثابتة هادئة إلى سيارة أنيقة ، تقف ساكنة إلى جوار الطريق ، ولمجلس ( منى ) خلف عجلة قيادتها ، وفتح بابها الأيمن وجلس إلى جوار ( منى ) ، التي سألت في هدوء :

— هل انتهت مهمتك ؟

أوماً برأسه إيجاباً . وهو يفلق عينيه ، فعادت تسأله :

— هل تشعر الآن بالارتياح ؟

ابتسم وهو يسند رأسه إلى مقعده في استرخاء ، وغمغم :

— كل الارتياح يا عزيزتي .

أدارت محرك السيارة ، وهي تقول :

— أعتقد أنه ينبغي أن نتطلق الآن إلى المطار ، فستقلع

طائرتنا بعد ساعتين فقط .

أجابها في صوت متكاسل :

— العمل ما تربيته صواباً يا عزيزتي ، ولا توقظيني حتى

نصل إلى المطار .

ابتسمت وهي تتأمله في حنان ، ثم انطلقت بالسيارة ، وهي

لا تصدّق وجوده حيناً إلى جوارها ، بعد ذلك الصراع

الدامي ، وبعد كل هذا القبح من الذناب .. والدماء .

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]

رقم الإبداع : ٣٦٦٩